الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمي

جامعة ســــــــرت - كليـــــــة الآداب
الدراسات العليا - قســــــــم التاريخ
شعبـــــة التاريخ الإسلامي

دولة الأدارسة في المغـــــرب الإسلامي

(دراسة في التاريخ السياسي والحضاري)
(172 - 364 هـ / 788 – 974 م)

قدمت هذه الدارسة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العليا (الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب :
صالح الفيتوري عمـــر أمهلهل

إشراف:
أ.د. علي حسين الشطشـــــــــــاط
أ.د. عبد الحكيم غنتاب الكعبـــــــي

العام الجامعي
(2010 – 2011 ف)

بِسْمِ اِللّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيـمِ

رَبِّ أَوْزِعْنِـيأَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَـكَ الَّتِـي أَنْعَمْـتَ عَلَـيَّ وَعَلَـى وَالِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحًا تَرْضَـاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ{19}

صدق الله العظيم

سورة النمل ، الآية (19)

الإهـــــداء

إلي كل من قدر العلم .....
ويسعي إليه جاهداً .....
تقديــراً .....
وإجــلالا .....

وعرفانـــاً .....

أهدي ثمرة جهدي العلمي المتواضع .

الطالب

الشكـــر والتقديـر

يسعدني أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلي كل من ساعدني ووقف معي لانجاز هذا الجهد العلمي وفي مقدمتهم الأستاذ الدكتور : علي حسين الشطشاط والأستاذ الدكتور : عبد الحكيم الكعبي اللذين تفضلا بالإشراف علي هذه الرسالة وقدما لي كل العون والمساعدة فضلا عن التوجيهات القيمة السديدة .كما أتقدم بالشكر الوفير إلي أساتذة قسم التاريخ

بكلية الآداب والتربية بجامعة سرت والى موظفي المكتبة المركزية بالجامعة كما أخص بالشكر أيضا أسرتي وكل من وقف معي وساعدني ولو بكلمة تشجيع أو مؤازرة لإعداد هذا البحث .

الطالب

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
المقدمـــة.....	1
الفصـــــــل الأول المغرب الإسلامي قبل ظهور الأدارسة	11
أولا : تعريف المغرب الإسلامي	12
1- أقسام المغرب	14
2- الموقع والتضاريس	15
3- سكان المغرب	17
ثانيا : الفتح العربي لبلاد المغرب الإسلامي	20
1- حملة عقبة بن نافع الأولي 50 هـ / 670 م (مرحلة الفتح المنظم)	21
2- ولاية أبو المهاجر دينار	22
3- ولاية عقبه بن نافع الثانية (62- 94 هـ / 681 – 613 م).....	23
5- ولاية حسان بن نعمان الغساني (76 هـ / 696م)	26
6- ولاية موسى بن نصير(86 هـ / 705 م)	28
ثالثاً-أوضاع المغرب في عصر الولاة	29
1 - ولاية محمد بن يزيد (97 - 100 هـ / 715 – 718 م)	29
2 - ولاية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر(100–101هـ /718– 719م)	30
3 - ولاية يزيد بن أبي مسلم (102 هـ/ 720 م)	30
4 - ولاية بشر بن صفوان الكلبي (102 هـ/ 720 م)	31
5 - ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110 هـ / 728 م)	31

6 - ولاية عبد الله بن الحبحاب (116 هـ / 734 م)	31
7 - ولاية كلثوم بن عياض القشري (123 هـ / 741 م)	32
8 - ولاية حنظلة بن صفوان الكلبي (124 هـ / 742 م)	34

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل الثانـــــــــي قيـــــام دولـــة الأدارسة	39
أولا : ظهور آل إدريس في المشرق	40
ثانيا : معركة فخ ونتائجها (169 هـ / 785 م).....	42
1- وصول إدريس إلى مصر	43
2- وصول إدريس إلى وليلي	46
3- بيعة الإمام إدريس	47
4- قيام الدولـــة وتوسيعها	48
5 - وفاة الإمام إدريـس الأول	50
ثالثا : المرحلة الانتقالية	53
1- نسب كنزة زوجة الأمام إدريس الأول	54
2 - الوصاية على إدريس الثاني	55
3- بيعة الإمام إدريس الثاني	56
5 - تنظيم الدولة في زمن إدريس الثاني	57
رابعا : خلفاء الإمام إدريس الثانـــي	59
1- الإمام محمد بن إدريس الثاني(213 – 221 هـ / 828 – 836 م)	59
أ - ولاية القاسم بن إدريس	60
ب - ولاية عمر بن إدريس	60
ج- ولاية داود بن إدريس.....	60
د - ولاية حمزة بن إدريس	60
هـ - ولاية عيسى بن إدريس	60

الموضـــــــوع	الصفحة
و - ولاية أحمد بن إدريس	60
ز - ولاية عبد الله بن إدريس	60
2 - الإمام علي بن محمد بن إدريس الثاني(221– 234هـ/ 836 – 848 م)	62
3 - الإمام يحيى بن محمد بن إدريس الثاني (249-234 هـ/849 – 836 م)	63
4 - الإمام يحيى بن الإمام يحيى	64
استيلاء عبد الرحمن بن سهل الجذامي على فاس	64
5 - الإمام علي بن عمر بن إدريس الثاني	65
6 - الإمام يحيى بن القاسم	66
7 - الإمام يحيى بن إدريس (242 هـ / 905 م).....	66
8 - الإمام الحسن بن محمد بن القاسم(310 – 313 هـ / 922 – 925 م)..	68
سيطرة موسى بن أبي العافية على المغرب الأقصى	69
التنافس على النفوذ في المغرب الأقصى بين الفاطميين في افريقية والخلافة الأموية في الأندلس	70
9 - الأمير القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني	71
10- الأمير أبو العيش أحمد (337 – 343 هـ / 948 – 954 م).....	72
11 - الأمير الحسن بن كنون (343 – 364 هـ / 954 – 974 م)	72
مقاومة الحسن بن كنون للتدخل الأموي	74
الفصل الثالـــــــث المظاهر الحضارية في دولة الأدارسة	77
أولا : النظم الإدارية	78
1 – الإمامــة	78
2 - الــوزارة	79

3 - الكتابــة	80
4 - القضـــــاء	81

الموضـــــــوع	الصفحة
ثانياً – النظم الاقتصادية	83
1 - الزراعـــــة والمحاصيل الزراعية	83
2 – الرعي والصيد	83
3 – النشاط الصناعي	88
4 – النشاط التجاري	90
5 - التجارة الخارجية	91
ثالثا : النظم الماليـة	94
1 - الخـــراج	95
2 - الجزيـــة	95
3 - الزكـــاة	96
4 - الفئ والغنيمـــة	96
5 - الجـــزاء و المكوس	97
6 - سك العملـــة	97
رابعـا : الحركة العمرانية	99
1- بناء المدن	99
أ - مدينة فاس.....	99
ب - مدينة البصـــرة	106
جـ - مدينة أصيـــلا	108
د - قلعة حجر النســر	109
2- المساجد	110
أ - جامع القروييـــن	111
ب - جامع الأندلسيين	112
3- الحمامـــات	113
4- الفنـــــادق	114

خامسا : الحركة الفكرية	115
الموضـــــــوع	الصفحة
1- الخطابـــة	115
2- الفقه	116
3- الشعر.....	118
الخاتمـــة	122
الملاحـــق.....	125
المصادر والمراجع.....	133

بِسْمِ اِللّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيـمِ

المقدمـــــة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين : وبعد...

يتناول هذا البحث موضوع دولة الأدارسة ودورها الحضاري في المغرب (172هـ-364 هـ) (974-788 م) وقد حاولت فيه تسليط الضوء على بعض الجوانب السياسية والحضارية لتلك الفترة .ذلك أن تاريخ الأدارسة ودورهم الحضاري في المغرب الإسلامي (من القرن الثاني حتى القرن الرابع الهجري/ الثامن حتى القرن العاشر الميلادي) يمثل حلقة مهمة من حلقات التاريخ العربي الإسلامي في هذه المنطقة الحيوية من العالم آنذاك ، والتي غلب عليها تذبذب الوجود العربي الإسلامي بين المد والتراجع خلال المراحل الأولى من الفتح الإسلامي لهذه البلاد ، وما أن انتهت مرحلة الفتوح وتناوب عليها الولاة المسلمين حتى بدأ البربر بسلسة من الثورات التي تهدف إلي تحقيق العدالة والمساواة ، وهي المبادئ التي حملها الفاتحون الأوائل إلى قبائل البربر التي سكنت في بلاد المغرب ، وقد جاء ميلاد دولة الأدارسة في أواخر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي تحقيقاً لطموحات غالبية هؤلاء البربر وبقية سكان المنطقة ،لاسيما وإن مؤسسها هو من ذرية آل بيت الرسول (صلي الله عليه وسلم) فوجدت التأييد والمؤازرة من قبائل البربر والقبائل العربية على حد سواء .

وتكمن أهمية هذه الدراسة في موضوعها التي ينفرد بتتبع تاريخ هذه الدولة من النشأة حتى زوالها على يد الفاطميين مروراً بالدور الكبير الذي نهضت به في نشر الاستقرار ومظاهر الحضارة العربية والإسلامية في المغرب الأقصى على مدى أكثر من قرنين من الزمان ، والدور الذي لعبه الأمراء الأدارسة في المحافظة على نشر الإسلام واللغة العربية بين صفوف البربر وصبغ منطقة بلاد المغرب بالصبغة العربية الإسلامية .

أما أسباب اختياري لهذا الموضوع ليكون عنواناً لرسالتي هي :-

1- الرغبة في جمع ومعرفة ظروف قيام الدول المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي وتتبع الأحداث التاريخية التي شهدتها تلك المنطقة في العصر الإسلامي والتعمق في دراسة تلك الأحداث .

2- توضيح بعض المفاهيم والأحداث التاريخية ومعالجة الخلط الذي وقع فيه البعض من حيث انتساب الدولة إلى طائفة معينة وإظهار منهج تلك الدولة .

3- توضيح الدور الحضاري الذي قامت به دولة الأدارسة في بلاد المغرب ومدى مساهمتها في نشر الإسلام واللغة العربية ونقل المؤثرات الحضارية المشرقية إلى بلاد المغرب الإسلامي.

ويعد البحث في تاريخ المغرب الإسلامي – بشكل عام – محاولة يعتريها الكثير من الصعوبات وذلك لعدة أسباب منها .

1- تنوع مصادر البحث والتي شملت كتب التاريخ والجغرافيا والفقه والتي إما أنها تعالج وتطرح موضوعاً وتسكت عن أحداث أخرى ، أو أنها تشبك الأحداث وتدخل في سرداً خالياً،الأمر الذي اقتضى منى الكثير من الجهد والوقت لانتقاء ما أحتاجه من معلومات لطرحها في موضوع الدراسة وتحرى الدقة وتحليل المادة المنتقاة في مادة واحدة وفي إطار الهيكل العام للدراسة .

2- تشتت المعلومات وشحها في كثير من الأحيان ، فضلاً عن إن أغلب المصادر التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي هي مصادر شرقية ، نقلت إما عن طريق الرواية وإما عن طريق مصادر قديمة فقد معظمها لذلك جاءت أحداث هذا التاريخ مختصرة أو ملحقة بموضوعات أخرى في كثير من الأحيان ،فضلاً عن تناقضها أو تباينها في تناول الأحداث المهمة .

3- نذرة المادة التاريخية من المصادر والمراجع التي تذكر الأحداث التي مرت بها الدولة ، ليس على الصعيد المحلي بل حتى على عموم المغرب العربي الأمر الذي يفتح أمام الباحثين المهتمين بهذه الحقبة الباب للبحث والاستنتاج لدراسات جديدة تتناول هذه الدولة.

وقد اعتمدتُ في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي الاستقرائي الذي يعتمد شمولية النظرة وعمق التحليل والموضوعية دون انحياز أو مبالغة ، ولا أدعي إن هذه الرسالة قدمت منهجاً متكاملاً لدراسة تاريخ الأدراسة في المجالين السياسي والحضاري ولكنها محاولة جادة ستجد من يكملها بالتأكيد ، وذلك لصعوبة الموضوع وشح المادة التاريخية التي تسرد أحداث تلك الحقبة .

أما عن المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الدراسة فهي :-

أولا:- المصادر:

1 – (كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس)، لمؤلفه علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي (م1325/726)، موضوع الكتاب يتناول تاريخ المغرب عموماً وتاريخ دولة الأدارسة وحاضرتهم فاس بالخصوص ، كما يوضح عنوان الكتاب فهو يذكر حوادث الدولة الإدريسية وقد ترك وصفاً دقيقاً لبعض المظاهر الاقتصادية لتلك الدولة وذكر أمرائها ، وطريقة ابن أبي زرع تختلف عن طريقة أغلب المؤلفين المسلمين في العصر الوسيط والتي كانت تعتمد في الكتابة على طريقة الحوليات فهو اعتمد على ذكر الدولة ومؤسسها ونسبه، وذكر القبائل ومراحل تأسيس الدولة ثم يذكر في نهاية كلامه الأحداث التي مرت بها، ويوصف في بعض الأحيان المظاهر الاقتصادية والاجتماعية والظواهر الطبيعية .وقد جمع مادته العلمية من كثير من المصادر التي فقدت ولم تصل إلينا سوى كتاب البكري وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول،ويشير ابن أبي زرع إلى من نقل عنه مثل عبد الملك ابن محمد الورَّاق، ومؤلف آخر يذكره بابن غالب لا يعرف عنه سواء أنه ألف كتاباً في تاريخ المغرب ،ويذكر مؤلف آخر يلقب بالبرنونسي وهو أبو عبد الله محمد الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وله كتاب في تاريخ المغرب والأندلس غير إن هذه الكتب مفقودة ولم تصل الينا، وترجع أهمية هذا المصدر لكونه يحتوي على مادة علمية غزيرة عن تاريخ المغرب الأقصى عموماً وتاريخ دولة الأدارسة خصوصاً وقد نجح في ذكر الأحداث التي مرت بها دولة

الأدارسة وهو دقيق في جمع المعلومات رغم تأخره عن معاصرة هذه الدولة لذلك اعتمدت عليه كثيراً في عدة مواضيع من خلال سرد أحداث الدولة والنهضة الحضارية التي عاشتها في ظل الأدارسة ومقارنتها مع بقية المصادر الأخرى.

2 – (كتاب جني زهرة الآسن في بناء مدينة فاس) لمؤلفه أبي الحسن علي الجزنائي، وهو من أهل(القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي)، وقد عاصر عصر بني مرين واستقر بمدينة فاس، ويتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة فاس، وقد قسم المؤلف كتابه إلى بابين ، تناول في الباب الأول تاريخ الأدارسة وبالأخص الإمام إدريس الأول وابنه إدريس الثاني، وأهم الأحداث التي مرت بها الدولة في عصريهما ، أما الباب الثاني فهو يتحدث عن مدينة فاس وأدوارها وجوامعها ومرافقها المختلفة كالأسواق والحمامات ، وقد كان أسلوبه في الكتابة أسلوباً بسيطاً ليس فيه تكلف وهو أشبه بأسلوب الفقهاء، ويعتقد بأنه اشتغل في بعض الوظائف الإدارية التي كانت ترعى المساجد والأحباس والأوقاف، وهو ما مكّنه من الإطلاع على العديد من المؤلفات التي اعتمد عليها في كتابه .وترجع أهمية الكتاب في كونه تناول دولة الأدارسة بدقة فهو يستفيض في ذكر الإمام إدريس الأول ويعطي صورة واضحة عن أعماله ، كذلك تناول بصورة واضحة تاريخ مدينة فاس والازدهار الحضاري الذي عاشته في عصر الأدارسة ووصفها وصفاً دقيقاً،وقد أفادني في عرض مجموعة من الأحداث التاريخية خصوصا فيما يتعلق بمدينة فاس التي مرت بها دولة الأدارسة ومقارنتها مع بقية المصادر .

3 – (كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لمؤلفه أبو العباس احمد بن محمد المعروف بابن عذارى المراكشي ، الذي بدأ تأليفه في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وهو كتاب من عدة أجزاء ومهم في تتبع تاريخ المغرب الإسلامي عموماً ، وقد اعتمد ابن عذارى في نقل معلوماته على مؤلفين سابقين هما ابن حبيب(م:سنة245هـ/859م)وكتاب الطبري(م:سنة310هـ/923م) تاريخ الأمم والملوك وكتاب البكري الذي سماه المغرب في ذكر بلاد إفريقيه والمغرب وغيرهم ، وكما اعتمد ابن عذارى في نقل بعض المعلومات عن طريق الرواية الشفوية والتي

استقاها من شيوخ معاصرين له فهو يشير في بعض الأحيان إلى أسمائهم .وترجع أهمية كتاب ابن عذاري في أنه مصدر مهم وكامل في سرد أحداث بلاد المغرب الإسلامي وينفرد عن غيره في ذكر أحداث دقيقة ومهمة وقد تتطابق كتاباته مع غيره من المؤلفين ،وفيه معلومات تفصيلية عن الدول والحكام في بلاد المغرب منذ وصول الإسلام إليها حتى نهاية الدولة الموحدية، كما أنه يذكر أخبار دولة الأدارسة غير أنه يشح في نقل المعلومات التفصيلية التي تتناول تاريخ الأدارسة ويخلطها في بعض الأحيان مع موضوعات أخرى ، وقد استفدت منه في سرد الأحداث التاريخية الهامة في بلاد المغرب الإسلامي عموماً وتاريخ الأدارسة على وجه الخصوص .

4 – (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (م:سنة808هـ/1405م) والذي يعتبر مصدر مهم من مصادر التاريخ الإسلامي لاحتوائه على مادة غزيرة خصوصا عن بلاد المغرب الإسلامي، وقد عالج ابن خلدون تاريخ المغرب عموماً معالجة تفصيلية ، ويذكر تفصيلات دقيقة في بعض الأحيان ، غير أنه غير دقيق في سرد الأحداث التاريخية ، وقد اعتمدت عليه اعتماداً كلياً في بعض الأحيان عند ذكر الحياة الاجتماعية والاقتصادية لدولة الأدارسة، وتكمن أهمية هذا الكتاب خصوصا في الجزء السادس حيث أنه يعرض عرضاً دقيقا لتاريخ المغرب الإسلامي من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويأتي كتابه في أنه وثيق الصّلة بتاريخ بلاد المغرب الإسلامي ،وقد اعتمد في نقل أخباره على مصادر محلية متنوعة .

5 – كذلك اعتمدتُ في كتابة هذا البحث على مجموعة من المصادر الجغرافية، أهمها:(كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، لمؤلفه أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري(م:سنة487هـ/1094م) الذي يعتبر من المصادر المهمة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي وبالرغم من أن مؤلفه كان يصف بلاد إفريقيه والمغرب وصفاً جغرافياً، إلا أن وصفه كان يتضمن معلومات وأخبار تاريخية مهمة ، وقد اعتمد في سرد أخباره على مؤلفين سابقين له، كما اعتمد في بعض الأحيان على الرواية الشفوية ،وتكمن أهمية كتاب البكري في أنه يعطي

وصفاً دقيقاً من النواحي السياسية والاقتصادية والعمرانية في بلاد المغرب الإسلامي، ويعتبر كتابه مصدراً لكل المؤلفين والمؤرخين الذين جاءوا بعده لإحتفاضه بمعلومات مهمة نقلها عن مصادر لم تصل إلينا،ومن أشهرها (كتاب المسالك والممالك لمؤلفه (محمد بن يوسف الوراق)(ت 363 هـ/976 م) ،وقد أفادني في ذكر بعض الأحداث التاريخية الهامة لدولة الأدارسة كما أفادني في عرض النواحي الحضارية التي مرت بها دولة الأدارسة وقد اعتمدت عليه في الفصل الثاني والذي خصص للنواحي السياسية في دولة الأدارسة كما اعتمدت عليه في الفصل الثالث في ذكر النظم الحضارية للأدارسة خصوصا النواحي الاقتصادية والعمرانية في دولتهم .

ثانيا :- المراجع :

1 – كتاب تاريخ العرب السياسي في المغرب لمؤلفه سعدون نصر الله الذي تضمن عدة فصول وحاول فيه صاحبه معالجة موضوعات مختلفة كان من بينها أن أفرد فصلاً عن الفتح العربي الإسلامي لبلاد المغرب،وتناول تاريخ بلاد المغرب في عصر والولاة،كذلك ذكر في الفصل الرابع قيام الدول المستقلة وتكلم بشكل مختصر عن دولة الأدارسة،وقد استفدت منه في الفصل الأول فيما يتعلق بسرد الأحداث التاريخية الخاصة بالفتح العربي الإسلامي في بلاد المغرب،كذلك بعض الأحداث التي تناولت أوضاع بلاد المغرب في عصر الولاة وبعض المباحث الأخرى .

2 – كتاب دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، لمؤلفه إسماعيل العربي الذي درس فيه عدة جوانب، فقد خصص الفصل الأول عن فتح المغرب وأهم الثورات التي قامت فيه ،وقدم دراسة عن بعض المدن،أما الفصل الثاني والثالث فتناول فيها ظهور الأسرة الإدريسية ،وتكلم عن قيام الدولة وإنشاء مدينة فاس، أما الفصل الرابع فقد خصصه للصراع الذي نسب في بلاد المغرب الأقصى،الذي دار بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومحاولة الأدارسة الاحتفاظ باستقلالهم عن طريق تأييد وموالاة الطرف القوي الذي يظهر عليهم، وقد استفدت منه في الفصل الثاني فيما يتعلق بسرد أحداث قيام دولة الأدارسة ونشأتها والمراحل التي مرت بها .

3 – كتاب دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي) لمؤلفه سعدون عباس نصر الله ،والذي تناول فيه ذكر بلاد المغرب الأقصى من الناحية الجغرافية والديموغرافية ثم الصراع الذي كان قائماً في المشرق بين القوى السياسية في أحقية نيل الخلافة ثم تحدث فيه عن قيام دولة الأدارسة على يد الأمام إدريس الثاني ثم تناول المرحلة الانتقالية وخلفاء الأمام إدريس الثاني ثم تكلم عن بعض المظاهر الحضارية لدولة الأدارسة.

4 – كتاب الأدارسة (172هـ- 375هـ) حقائق جديدة لمؤلفه محمود إسماعيل، والذي خصصه فصولا للحديث عن عدة جوانب، منها التيارات السياسية والمذهبية التي ظهرت في بلاد المشرق وانتقالها إلى بلاد المغرب،تم تكلم عن تأسيس دولة الأدارسة، وقسَّم فيه الدولة إلى طورين: طور القوة وطور الانهيار، كما تكلم عن العلاقات الخارجية للدولة الإدريسية،وقد استفدت منه في الفصل الثاني والفصل الثالث وفي ذكر بعض المباحث التي تتعلق بالنظم التي أنشأتها الدولة الإدريسية .

كما اعتمدت على مجموعة كبيرة من المراجع التي خدمت جوانب البحث بمختلف فصوله وقد ذكرتها في قائمة المراجع .

الطـــــالب

الفصــل الأول

المغرب الإسلامـــــي قبل ظهـــــــــــــــور الأدارســـــة

أولا : تعريف المغـــــرب الإسلامي

أطلق العرب كلمة "المغرب " علي تلك البلاد الواسعة التي تلي مصر وتمتد غربا حتى المحيط الأطلسي[1]،وفي هذا الجزء الأبعد من هذه البلاد الذي يعرف بالمغرب الأقصى قامت دولة الأدارسة- موضوع دراستي – والتي شغلت حقبة مهمة في تاريخ الشمال الأفريقي بشكل خاص والتاريخ العربي الإسلامي بصفة عامة ، وقبل الخوض في تفاصيل نشأة هذه الدولة وانجازاتها نتوقف عند بعض المسميات الجغرافية والمصطلحات التي وقع حولها اختلاف في المصادر الجغرافية والتاريخية التي تناولت تاريخ هذه المنطقة .. فما هو المقصود بكلمة المغرب وما هي حدوده وأقسامه.؟

المغرب لغةً كل ما هو خلاف المشرق ، والغرب والمغرب عند كثير من علماء اللغة بمعني واحد[2]، بل هو عند بعض المؤرخين والجغرافيين كذلك[3]،وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على هذا المعني اللغوي: قال تعالي ((رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ))[4]،والمغرب عند ابن منظور(موضع الغروب أي غيوب الشمس)[5]، وقد ذكرت المصادر تعريفات مختلفة ومتناقضة لهذا المعني ، وقد علل ابن خلدون هذه الاختلاف إلى عرفين مختلفين هما عرف أهل الجغرافية والعرف الجاري في زمن ما[6]،ومن جانب آخر خلط البعض بين لفظي المغرب وإفريقية فأعطى المدلول نفسه غير أن هذا الخلط لم يستمر طويلا حتى تحدد بشكل واضح ، وقد يكون سبب هذا الاختلاف أن العرب

---

(1) ابن عذارى المراكشي ، أبو العباس احمد بن محمد : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح كولان وبرفنسال ، دار الثقافة (بيروت ، 1948 م) 1 / 5.

(2) ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، دار المعارف (القاهرة ، د م) 2 / 129

(3) عبد الحميد سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الأغالبة ، دار النهضة (بيروت 2003 م) 1 / 63

(4) سورة المزمـل : الآية 9

(5) ابن منظور : لسان العرب ص 129

(6) ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1992 م) 6 / 98 - 99

كانوا يسمون ما يلي أيمانهم أي ما يلي أياديهم اليمنى إذا استقبلوا الجنوب :مغربا ويسمون ما يلي أياديهم اليسرى مشرقا[1].

وتتفق أغلب المصادر على أن بلاد المغرب هي تلك المناطق والأراضي التي تمتد من برقة[*] وحدود مصر شرقا إلى البحر المحيط غربا (المحيط الأطلسي) وتمتد من بحر الروم (البحر المتوسط) شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً والتي تفصل بينه وبين إقليم السودان[2] .

بينما جعل الاصطخرى حدود المغرب تمتد لتشمل بلاد الأندلس أيضا فقد قال ((وأما المغرب وهو نصفان يمتدان علي بحر الروم نصفه من شرقيه ونصف من غربيه ، فأما الشرقي فهو برقة وتاهرت والسوس وزويلة وطنجة وما في أضعاف هذا الإقليم وأما الغربي فهو الأندلس))[3] ،في حين ذهب أبن حوقل إلى إن نهر النيل هو الحد الفاصل بين المشرق والمغرب[4] .

وعلى الرغم من أن البعض ظل يخلط بين مدلول إفريقية والمغرب ولا يميز بينهما[5]، فقد أنتهي لفظ إفريقية للدلالة على الأقاليم التي تتوسطه مدينة القيروان وحدها من غرب مدينة طرابلس حتى بجاية ، وأنتهي لفظ المغرب ليشمل عموما أقاليم البلاد وحدودها من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي و إفريقية جزء منه[6].

وعلى ضوء تلك التعريفات يمكن تحديد أقسام وحدود المغرب فقد اصطلح الجغرافيون والمؤرخون المسلمون على تقسيم بلاد المغرب العربي إلى ثلاثة أقسام كبيرة ،بحسب قربها وبعدها عن مركز الخلافة[7].

أقسام المغـــــــرب :-

قسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب الإسلامي إلى عدة أقسام استناداً إلى موقعها بالنسبة لمركز العالم الإسلامي (دمشق وبغداد) وجاء هذا التقسيم على الشكل الآتي :-

1- المغرب الأدنى (إفريقية)

ويمتد من جهة الشرق بعد أرض برقة إلى مدينة بجاية غرباً وقد كانت قاعدته في صدر الإسلام مدينة القيروان وقد سمى أدنى لأنه أقرب مناطق بلاد المغرب إلى دار الخلافة في المشرق[1] .

2- المغرب الأوســـط

---

(1))ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبى عبد الله : معجم البلدان ، دار الكتب العلمية(بيروت ، 1955 م) 1 / 4

(*)برقة : بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية = الحموي : معجم البلدان 1 / 388

(2) ابن أبى دينار، محمد ابن القاسم القيرواني : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،تح محمد شّمام، المكتبة العتيقة(تونس،1967 م)ص15

(3) الاصطخرى ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي : المسالك والممالك ، تح محمد جابر عبد العال ومحمد شفيق غربال ، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد (القاهرة ، 1961 م) ص 34

(4) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، مكتبة الحياة (بيروت ، 1979م) ص 64

(5) مؤنس ،حسين : فتح العرب للمغرب . مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د ت) ص 3 ، 4

(6) الفقى ، عصام الدين عبدالرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، د ث) ص 12

(7) الناصري ، ابوالعباس احمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصي ، تح ،جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، 1954 م)71/1

(1) الناصري : الاستقصاء 71/1

(*) تاهرت : بفتح الهاء وسكون الراء ، اسم لمدينتي متقابلتين بأقصى المغرب بينها وبين مدينة المسيلة ستة مراحل وهي بين مدينة تلمسان وقلعة بن حماد -ًياقوت ، الحموي : المصدر السابق 8/1

ويمتد هذا القسم من مدينة بجاية أو تاهرت[*]، شرقاً حتى وادي ملوية وجبال تازا غرباً وهو الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وقاعدته مدينة تلمسان [2] ،وقد أطلق عليها ابن عذارى أسم بلاد الزاب الأعلى وذكر أنها تمتد من طرابلس شرقاً إلى مدينة تاهرت[3].

3- المغرب الاقصـــي

ويمتد من وادي ملوية وتلمسان شرقاً حتى المحيط الأطلسي عند مدينة أسفي غرباً وقاعدته مدينة فاس[4]، وقد تعددت عواصمه بتعدد الدول التي حكمته ، ففي عصر الأدارسة كانت مدينة فاس عاصمته وفي دولة المرابطين[*] ،كانت مدينة مراكش[5] ، وقد ظهر لهذا القسم تسميات أخرى وهي السوس الأدنى والسوس[*] ،الأقصى[6].

الموقع و التضاريـــس

تقع بلاد المغرب الأقصى في الجزء الشمالي من قارة أفريقيا ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط الذي يفصلها عن الأندلس مضيق جبل طارق [1]،ومن الغرب يحدها المحيط الأطلسي الذي قامت على شواطئه العديد من المدن ومن جهة الجنوب الصحراء الكبرى [2]،ومن جهة الشرق مدينة تلمسان التي تعد المنطقة الفاصلة بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط وفي هذا يقول الإدريسي تلمسان رصيف للداخل والخارج ، ويمتد المغرب الأقصى من البحر المتوسط شمالاً إلى جبال درن[*] جنوباً ومن وادي ملوية وممر تازه شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً[3]،ويتألف سطح المغرب عموما من سلاسل جبلية وهضاب تتخللها وديان وتمتد هذه السلاسل الجبلية من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي متوازية بشكل عام[4] ، وهذه السلاسل الجبلية تتألف من مجموعتين هي سلسلة جبال الريف الشمالية وهي محاذية لساحل البحر المتوسط وسلسلة جبال الأطلس الجنوبية وهي تتفرع إلى ثلاثة أقسام كبيرة : جبال أطلس الكبير والأطلس المتوسط والأطلس الصغير وتتميز هذه الجبال عموماً بشدة الارتفاع وتكثر فيها المنحدرات الوعرة وتتفرع

---

(2)ابن خلدون: كتاب العبر، 6 /103
(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 5
(4) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 119
(*) يعود تأسيس دولة المرابطين إلى قبائل صنهاجه التي أسلمت في القرن (2 هـ 8 م) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المتنبي (بغداد ،د ت) ص 163 - 164 وسماهم المرابطين (الفقيه أبي عبد الله بن ياسين لصبرهم ورباطهم عليه)
(5) العبادى ، احمد مختار : تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية (الإسكندرية ، د ت) ص 9
(*) السوس الاقصي .هي منطقة واسعة تقع على يمين جبال درن ويطلق عليها جبال ماسة وتتصل بلاد السوس الاقصي ببلاد الصحراء إلى بلاد السودان وهي بلاد الزنج= ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 5 - 6
(6) البلاذرى ، احمد بن يحيى : فتوح البلدان، تقديم إبراهيم بيضون ، دار اقرأ (بيروت ، 1992 م) ص 322
(1) محمد محمد الأمين، و الرحماني محمد : المفيد لتاريخ المغرب ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، د. ت)ص 7- 8
(2) محمد الأمين : المرجع نفسه ص 9/8.
(*) أطلق بعض الجغرافيين والمؤرخين العرب علي سلسة جبال أطلس اسم جبال درن التي وصفها الحميري بأنه جبل مشهور له عدة أسماء منه جبل بسقنقور وهو جبل عظيم معترض في الصحراء ويسمي أيضا بجبل جشكو وأوراس وتتبع منه عدة انهار = الحميري محمد بن عبد المنعم :الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس ، مكتبة لبنان (بيروت ،1984م) ص 235
(3) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب (بيروت ، 1989 م)250/1
(4) نصر الله سعدون: دولة الأدارسة في المغرب (العصر الذهبي) دار النهضة العربية (بيروت 1987 م) ص 17

من هذه السلاسل جبال ومرتفعات صغيرة[5] ،وتعتبر تلك السلاسل الجبلية حاجز طبيعياً بين الأرض الخصبة والصحراء ، كما أن هذه السلاسل تعتبر خزاناً طبيعياً للمياه التي تغدي أغلب أنهار بلاد المغرب[6] .

ومن جانب أخر يتمتع المغرب الأقصى بمصادر مائية تجري في أرضه وأهم الأنهار هي :

1 – نهر ملوية: وينبع فيما بين تلمسان وتازه ويصب في البحر المتوسط[1].

2 – نهر سبو : وهو يحيط بمدينة فاس من شرقها وغربها، ويكون منخفضا في شمال البلاد فيعرف بالسوس الأدنى تمييزاً له عن المنخفض الآخر الذي يعرف بالسوس الأقصى[2] .

3 – نهر ورغه :وهو يجاور نهر سبو ، وهما يصبان في البحر المحيط(المحيط الأطلسي)[3].

4 – نهر بهتا : ويقع هذا النهر بين مكناسه وسلا ويصب في البحر المحيط (المحيط الأطلسي)[4] .

5 – نهر أم الربيع [*]وأبو الرقراق :وهما فيما بين سلا ومراكش وينبعان من جبال صنهاجه (الأطلس المتوسط) ويصبان في البحر المتوسط ، ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى لوفرة مائه وانتظام جريانه [5].وإلى جانب الأنهار فقد انتشرت العيون في أغلب مناطق بلاد المغرب الأقصى كعين لوريط التي كانت تغذى منطقة تلمسان والعيون التي أحاطت بمدينة البصرة[6]، وقد كثرت العيون بمدينة فاس ، حتى قال الإدريسي عنها ((مياها تجري في كل شارع وبها في كل مكان عيون غزيرة)) كما ذكر البكري أن نهرها ينبع من عيون تسمى عيون صنهاجة ،كما انتشرت العيون في مناطق أخرى كعين الخشب التي كانت بمدينة أصيله.

كذلك اعتمدت بعض المدن على مياه الآبار التي كانت في أغلب مناطق المغرب الأقصى فكانت هذه المصادر يعتمد عليها سكان المغرب في الشرب والاستخدامات الزراعية[7] .

سكان المغرب

ويسكن المغرب الأقصى عدداً من الأجناس البشرية أهمهم :

---

(5) الجوهري، يسري : المغرب العربي جغرافيا ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 2001 م) ص 110

(6) يسري الجوهري : المرجع نفسه ص 111

(1) المراكشي عبد الواحد:المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،وضع حواشيه عمران خليل ، دار الكتب العلمية(بيروت،1998م)ص265

(2) الحموي : معجم البلدان 330/6

(3) المراكشي : المعجم في تلخيص أخبار المغرب ص 365

(4) المراكشي : المصدر نفسه ص 366

(*)يبلغ طول نهر أم الربيع 600 كلم أما نهر سبو فيبلغ 500 كلم.الميداني محمود:الأطلس الجغرافي للوطن العربي،داردمشق(دمشق،2003 م)ص 167

(5) عبد العزيز بن عبد الله : جغرافية المغرب (الرباط ، 1963 م) ص 19

(6) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 76 – 80

(7) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق 242/1 – 243 ، كذلك البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 117 - 157

1-**الأفارقة** : وهم خليط من بقايا الأمم السابقة التي احتلت بلاد المغرب ، كالفنيقيين والرومان والوندال والبيزطيين وقد استوطن الأفارقة المدن الساحلية ،وتوغل قسم منهم إلي الدواخل[1] .

2- **العرب**: وهم الذين وفدوا إلى أقاليم المغرب الإسلامي أثناء عمليات الفتح الإسلامي لهذه المنطقة خصوصا بعد تأسيس القيروان عام (50هـ/ 670 م) والتي كانت مقدمة لبناء المدن الإسلامية وإقامة العناصر العربية في بلاد المغرب الإسلامي ، وأن هذه المجموعات العربية من قبائل وأفراد شاركت في عمليات الفتح، أوأرسلت على شكل أفراد من قبل الخلفاء إلى المناطق المفتوحة لتعليم سكان البلاد اللغة العربية و تعاليم الإسلام [2] ،كما كان بعض الأفراد يلجؤون إلى بلاد المغرب فوجدوا فيها مجالاً لنشر أفكارهم السياسية التي تعبر عن آرائهم وأهوائهم المختلفة لبعد تلك البلاد عن مركز الخلافة في المشرق[3].

3- **البربر**: وهم يمثلون الغالبية العظمي للعناصر البشرية التي استوطنت بلاد المغرب[4] ،وقد أختلف المؤرخون في لفظ كلمة البربر[*]،وأصلها ومن الذي أطلقها على سكان بلاد المغرب ، فمنهم من فسرها تفسيرا لغوياً على أساس أنهم يتكلمون لغة تختلط فيها الأصوات غير المفهومة فقيل ما أكثر بربرتكم فسموا بالبرابرة [5] ،غير أن هناك من يرى أن البربر أقوام هاجرت من فلسطين أو اليمن وأنهم يرجعون إلى أصول كنعانية أو حميرية [6]. وقد عرف العرب البربر بهذا الاسم ، ومن المعتقد إن هذه التسمية اقتبسوها من الرومان الذين أطلقوها على الشعوب الخارجة عن نطاق حضارتهم ، غير أن البربر كثيراً ما يسمون أنفسهم بالأمازيغ ومعناها (الرجال الأحرار) وقد كانوا ينتسبون بأسماء قبائلهم [1].

وينقسم البربر من الوجهة الإجتماعية إلى مجموعتين مختلفتين :

1 / البربر الرّحل وسمو بالبتر ، نسبه إلى مادغيس بن بر الملقب بالأبتر وقبائلهم كثيرة وهم في معظمهم قبائل رحّل تنتقل من مكان إلى آخر و يعيشون على الرعي والتنقل من مكان إلى آخر ويميلون إلى الإغارة على ما يجاورهم من مناطق العمران [2] ، وهم ينزلون في السهول المرتفعة أو المنخفضة التي تمتد من طرابلس إلى تازا كما أنهم ينتشرون في إقليم النخيل الممتد من غدامس

---

(1) طه عبد الواحد ذنون : الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس ، دار المدار (بيروت ، 2004 م) ص44

(2) دغفوس ،راضى : ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق أفريقيا قبل ظهور الإسلام ،اليمانيون في افريقية (البلاد التونسية)في القرن الاول والثاني للهجرة، المركز العالى لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر (الرباط ، 2004 م) ص371 - 372

(3) فيصل، شكري : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، دار العلم (بيروت 1978م) ص 179

(4) أبو مصطفى ، كمال السيد : تاريخ المغرب الاسلامى وحضارته ، مركز الإسكندرية للكتاب (الإسكندرية ،2002م) ص31

(*) يري بعض المؤرخين إن هاتين الكلمتين (البرانس والبتر) له علاقة بالزى القومي لدي سكان المغرب وفقد اعتاد البربر البرانس ارتداء البرنس الذي يغطي الجسم من الرأس إلى القدمين ، بينما اعتاد البربر البتر على الظهور بدون هذا الغطاء = العبادي عبد الحميد : المجمل في تاريخ الأندلس (القاهرة ، 1964 م) ص 11

(5) البلاذرى : فتوح البلدان ص320

(6) ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح مصر والمغرب،تح علي محمد عمر،مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة،2004م)ص179

(1) ساعدي، عثمان : البربر الامازيغ عرب عاربة ، دار الملتقى للطباعة (بيروت 1998 م) ص86

(2) حسين، مؤنس : فتح العرب للمغرب ص6

إلى السوس الأقصى ، ويؤلفون أغلبية سكان القرى الصحراوية ، كما توجد بطون من قبائل البتر في إقليم التل وفي قلب سهول المغرب الأوسط وعلي سفوح جبال أوراس [3]، ومن أشهر قبائل البتر قبيلة أداسة ونفوسة وضريسة وبنولوا الاكبر و بنولواته وكذلك من فروع ضريسة قبيلة زناته وغيرها[4] .

2 / البربر (الحضر) وسمو بالبرانس نسبة إلى برنس بن بر بن قيس عيلان، بينما يرى ابن خلدون أن البرانس من ولد مازيغ بن كنعان الذي يرتفع نسبه إلى حام بن نوح[5] ،وقد نزل البربر البرانس في المدن الساحلية والسهول الخصبة والمناطق الجبلية الممتدة عبر بلاد المغرب، لكن بعض قبائلهم توغلت في قلب قارة افريقية حتى وصلت إلي منحنى نهري النيجر ومصب نهر السنغال، ومعظم قبائل البربر البرانس تنزل في مواضع زراعية متحضرة[6].

وكانوا يعتمدون في معيشتهم على الزراعة والصناعة وهم أكثر حضارة وتمدنا من البربر البتر ، لإتصالهم بالحضارات المتعاقبة على بلاد المغرب كالحضارة القرطاجية واللاتينية وحضارة البحر المتوسط [1] ، وقد غلب على قبائل البرانس الإستقرار في القرى الساحلية و السهول الخصبة و المناطق الجبلية الزراعية فكانوا ينتشرون في المناطق المحيطة بجبال أوراس و في الجهات الجنوبية و الوسطى من إقليم المغرب الأوسط و المغرب الأقصى [2] .

ومن أشهر قبائلهم : أوربة ، وصنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأموديفة وازداجة وأضاف بعض النسابة لمطه وهكسورة وجزوله [3] ، وكانت قبيلة أوربة البربرية تتقدم هذه القبائل لكثرة عددها وشدة بأسها وقوتها ، ومن حيث الكثرة فقد كانت قبيلة صنهاجة أكبر قبائل البربر البرانس، حتى قيل أنها تنتهي إلى سبعين قبيلة ينتشرون في معظم بلاد المغرب [4] .

وكنتيجة لذلك التقسيم الإجتماعي كان هناك نزاع مستمر بين قبائل البتر والبرانس بسب التقارب والإختلاف في النواحي الإقتصادية والإجتماعية ، فكثيراً ما كانت قبائل البتر تشن غاراتها على النواحي العمرانية للبرانس مما اضطرهم إلى الإستعانة بالرومان الذين استغلوا هذا الخلاف وبث التفرقة بينهم من أجل إحكام السيطرة على البلاد [5].

---

(3) الناصري : الاستقصاء 1 / 65
(4) ابن خلدون :كتاب العبر 142/6 -178
(5) المصدر نفسه : 113/6
(6) نصر الله، سعدون : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة (بيروت2003 م)ص20.
(1) حسين، مؤنس : فتح العرب للمغرب ص .6
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 6/ 198 .
(3) الناصري : الاستقصاء 1 / 65.
(4) محمود، حسن احمد : قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 1957 م) ص33.
(5) حسين ،مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 38.

أما عن الناحية الدينية فقد كانت منتشرة بين قبائل البربر وعلي نطاق واسع الديانات الوثنية من عبادة الأصنام والظواهر الطبيعية كالشمس والقمر وغيرها[6] ، إلى جانب ذلك انتشرت الديانة المسيحية وبالأخص في المناطق الساحلية التي خضعت للرومان والبيزنطيين بحكم الاحتكاك بهم ومعايشتهم [7]، كما حصلت الديانة اليهودية على بعض الأنصار في صفوف البربر ويعتقد أنها انتشرت عن طريق التجار الفينقيين[1] ، كذلك شاع بين سكان بلاد المغرب تقديس بعض الحيوانات[2] ،وبعض أعمال السحر والشعوذة التي كانت منتشرة بين بعض القبائل البربرية فقد كانت كاهنة جبال أوراس أحد أقطابها فقد كانت لها الزعامة في قومها نتيجة لأعمالها السحرية التي تقوم على التنبو□ء وإخبارهم ببعض الأمور التي لم يألفوها[3] .

وعلى الرغم من انتشار كل تلك الديانات بين القبائل البربرية إلا أنها كان انتشارا سطحيا ولم يكن معتنقيها على درجة كبيرة من الإيمان بها فما إن دخل العرب إلى البلاد حتى استطاعوا اجتذاب القبائل البربرية بسهولة ويسر إلى الدين الاسلامى ولم يجدوا صعوبة في إدماج هذه العناصر في مؤسساتهم المختلفة حتى صاروا بعد أن حسن إسلامهم من اشد المدافعين عن العقيدة الإسلامية وحرصوا على نشرها في مناطقهم[4] .

ثانياً :الفتح العربي لبلاد المغرب الإسلامي :

تركزت المحاولات الأولى لفتح بلاد المغرب منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (21هـ /611 م) وحتى قيام الدولة الأموية في منطقتي برقة و إفريقية فقد بدأت بجهود عمرو بن العاص سنة (22هـ /643 م)حين افتتح برقة وطرابلس وانتهت بولاية معاوية بن حديج[*] السكوني سنة (47 هـ / 667 م) وهي الفترة التي أطلق عليها مرحلة الاستطلاع والاستكشاف، وعلى الرغم من الانتصارات التي حققتها في ذلك الوقت فإن نتائجها كانت مرهونة بوجود الجيش الإسلامي في المناطق المفتوحة ، لذلك اعتبرت تلك الحملات مجرد عمليات إستطلاعية واسعة المدى ، قد تطول أو تقصر حسب الأهداف المحددة لها[1].

1- حملة عقبة بن نافع (50 هـ / 670 م)(مرحلة الفتح المنظم) :-

حملة عقبة بن نافع الأولى (50هـ/670 م)

---

(6) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص2 -3
(7) حسين، مؤنس : فتح العرب للمغرب ص28
(1) لومبار موريس : الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري ، (8 ، 11 م) ترجمة إسماعيل العربي ، دار الأفاق الجديد (المغرب ، 1990 م) ص 8
(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 31
(3) ابن عذاري : البيان المغرب 1/26-27
(4) طه ،عبد الواحد وآخرون : تاريخ المغرب العربي ، دار المدار الإسلامي (بيروت ، 2004 م) ص 28 – 29
(*)يذكر ابن عذارى إن معاوية بن حديج قام بثلاث حملات علي افريقية كانت الأولى سنة (34هـ / 646 ميلادي) والثانية سنة (41 هـ/671 م) والثالثة سنة (45هـ /675 م) = ابن عذارى : البيان المغرب 1/14- 16

(1) سالم، السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الاسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة (القاهرة ، 1983 م) ص 76- 77

بعد أن استقرت أوضاع الخلافة الأموية في يد معاوية بن أبي سفيان سنة (41 هـ/ 661 م) تبنى سياسة مركزية تقوم على استكمال فتح بلاد المغرب من خلال تولية وال خاص يقوم بمهام قيادة الفتوح ووضع أسس الحكم الإسلامي فيها [2] ، وقد كانت الخطوة الأولي لهذه السياسة هي تولية عقبة*(،بن نافع الفهري عمليات الفتح في بلاد المغرب سنة (50هـ/ 670 م)، ولكي يستطيع تحقيق الأهداف الموكل إلية زود بعشرة آلاف مقاتل [3] ،بالإضافة إلى القوات الإسلامية التي كانت مرابطة في برقة والتي ضمت أعدادا من البربر الذين حسن إسلامهم [4]،وقد كانت إستراتيجيته عقبة بن نافع في فتح بلاد إفريقية تقوم على إخضاع القبائل البربرية في الدواخل إلى أن وصل إلي افريقية دون أن يلاقي أية مقاومة تذكر[5] .

رأى عقبة من خلال خبرته الطويلة بأحوال المنطقة أهمية الحاجة إلى إنشاء قاعدة عسكرية ثابتة للجيش الإسلامي يستقر بها المسلمون ويتابعون منها فتوحاتهم ونشر الإسلام[6] ،وهكذا شرع عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان[*] ،سنة (50هـ/ 670 م) وقد تجلت عبقريته في اختيار موضع القيروان فقد كان موقعها بعيدا عن الساحل مما يجعلها في مأمن من غارات البيزنطيين ، كما أنها كثيرة المراعي وغير متوغلة في جوف الصحراء خوفا من غارات البربر[1]، لقد كانت فكرة عقبة بن نافع في بناء القيروان حدثا مهما في تاريخ الفتح العربي لبلاد المغرب ، فقد أصبحت نواة لولاية إسلامية جديدة هي ولاية افريقية ، كما كانت قبلها الفسطاط نواة لولاية مصر الإسلامية [2] ، فأصبح لهذه المدينة دور كبير في تمسك العرب لإتمام فتح بلاد المغرب ، فمنها انطلقت فتوحاتهم إلى المغرب الأوسط و الأقصى وكان قاعدة ارتكاز لنشر الإسلام في حوض البحر المتوسط [3] ،ويمكن أن نشير إلى أنه باختطاط مدينة القيروان بدأ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وأخذ طابع الثبات والاستقرار وكان بداية التفكير في تجاوز مناطق الساحل وإفريقية والإتجاه نحو المغرب الأوسط والأقصى بدل التوقف في نفس المناطق التي دخلها الفاتحين الأوائل، بعد أن أكمل عقبة بناء القيروان ، فوجئ بعزلة[*] سنة (55هـ/674 م) وقد كان عزله من قبل والى

---

(2) عبد الواحد، ذنون : تاريخ المغرب ص 78

(*) عقبة : هو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث ، من بني فهر بطن من بطون قريش ، واختلف في مولده ، ويحدد بن عذارى مولده قبل وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم = ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 19

(3) البلاذرى : فتوح البلدان ص 230

(4) ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم : الكامل في التاريخ ، تح ، محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1998 م) 3 / 407

(5) سالم، السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة (الإسكندرية 1966 م) 2 / 197

(6) التنوخى، محمد : عقبة بن نافع فاتح المغرب ، مكتبة قورينة (بنغازي ، 1975 م) ص 214

(*)القيروان :تعدد مدلول القيروان فهي القافلة أو الجيش او المعسكر- ابن خلكان = وفيات الأعيان ، تح إحسان عباس، دار صادر(بيروت ، د ت) 55/1 وذكر ياقوت الحموي أن لفظ القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان = الحموي : معجم البلدان 4 / 420

(1) المالكي ، أبو بكر عبدالله : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم ، تح،بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1983 م) 1 / 1 ، 2

(2) شكري، فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ص 54

(3) عبد الوهاب، حسن : ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيا التونسية ، مكتب المنار (تونس ، 1982 م) 1 / 26

مصر ((مسلمة بن مخلد)) الذي جمعت له مصر و المغرب ، فعزلة وعين مولاه أبو المهاجر دينار بدلا منه[4].

2- ولاية أبو المهاجر دينار

قدم أبو المهاجر دينار إلى إفريقية سنة (55هـ / 676 م) وتجمع المصادر أنه أساء عزل عقبة بن نافع و سجنه ، حتى أتى كتاب معاوية بتخليه سبيله وأشخاصه إليه[5] ، وقد كان أبو المهاجر سياسيا محنكا ، فقد انتهج سياسة اللين والمداراة مع البربر لاستمالتهم عن طريق نشر الإسلام بين قبائلهم ،وقد أثمرت هذه السياسة باعتناق كسيلة(*)الإسلام وأسلم معه عدد كبير من البربر [1].

استطاع أبو المهاجر بفضل مؤازرة كسيله له في الاستيلاء على تلمسان فهو أول قائد عربي وطئت خيله المغرب الأوسط ، وقد دامت ولاية أبي المهاجر سبع سنين من (55 هـ /676 م) إلي سنه (62 هـ/682 م) [2]، ثم أعيد عقبه واليا على إفريقية بعد أن عزل أبا المهاجر من قبل الخليفة يزيد بن معاوية (60 هـ - 63 هـ / 680 م – 684م) الذي فصل ولاية إفريقية عن ولاية مصر[3].

3 - ولاية عقبة بن نافع الثانية (62 - 64 هـ / 681 -683 م)

استطاع عقبة بن نافع إقناع دار الخلافة بدمشق بالعودة إلي القيادة العليا في بلاد المغرب بدلا من أبي المهاجر دينار ، كان ذلك في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية سنه (62 هـ / 681) [4] ، وصل عقبة إلي القيروان وبصحبته خمسة آلاف رجل من القبائل العربية من مصر[5] ، من بينهم خمسة وعشرون رجلا من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد تفرغ عقبة بن نافع بعد وصوله إلى القيروان إلي تنظيم شؤونها والاستعداد للقيام بحملته الكبرى على بلاد المغرب ، فاستخلف زهير بن قيس البلوى ،على مدينة القيروان على رأس حامية عسكرية من المسلمين تعدادها ستة الآف مقاتل [6].

(*) ذكر المؤرخون أسباب عديدة لعزل عقبة بن نافع عن ولاية إفريقية والمغرب ،غير أن من أهم الأسباب كانت انشغال عقبة بناء مدينة القيروان وتسخيره لكل الجهود من أجمل أتمامها دون مواصلة عمليات الفتح الأمر الذي حرم دار الخلافة من مورد هام فهو الغنائم التي ترد إلي دار الخلافة من مناطق الفتح في حين كان عقبة يركز علي تثبيت السلطان العربي في إفريقية وجعل القيروان عاصمة لبلاد المغرب الإسلامي =محمد الطرودي: القيروان مدينة التراث الحضاري ، مجلة الوحدة ، السنة الخامسة ، العدد (60) سبتمبر(الرباط ،1989 م) ص 20.

(4) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 54

(5) لقبال، موسى : المغرب الاسلامى ، الشركة الوطنية للنشر (الجزائر ، 1981 م) ص35

(*) كسيلة بن لزم الأوروبي كان من عظماء البربر تولي زعامة قبيلة أوربه البربرية وكان علي دين النصرانية فاسلم علي يد أبو المهاجر دينار إلا انه انقلب علي المسلمين في حملة عقبة الثانية علي بلاد المغرب الأقصى = الناصري : الاستقصاء 80/1

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ 405/3

(2) ابن عذارى : البيان المغرب 1 /28

(3) المصدر نفسه : 23/1

(4) الكبي، زهير : موسوعة خلفاء المسلمين : دار الفكر العربي (بيروت ،1995 م) 82/1

(5) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 199

(6) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 23

انتهج عقبة سياسة مخالفة لسياسة أبي المهاجر التي كانت تقوم على استمالة البربر ، كما إنه بالغ في الإساءة إلى كسيلة زعيم قبيلة أوربة(*)، الذي كان مشاركا في حملة عقبة نحو بلاد المغرب[1] ، خرج عقبة بن نافع من القيروان على رأس جيش بلغ تعداده خمسة عشر ألف مقاتل[2]، مصطحباً معه أبا المهاجر وكسيلة ، وقد اتخذ الطريق الداخلي بعيدا عن الساحل في اتجاه الغرب حققت هذه الحملة عده انتصارات على البيزنطيين وحلفائهم البربر في باغية(*)، ولميس(*) ، والزاب وتاهرات[3] ، لم يكتف عقبة بتلك الانتصارات أو حتى يكلف جيشه عناء محاصرة المدن والقلاع والقضاء على الحاميات المتحصنة داخلها ، فأنطلق مكتسحاً المغرب الأقصى فوصل إلى طنجة وقابل حاكمها يوليان الذي قدم لعقبة الهدايا طالبا الصلح والمهادنة ، وقد أمده بمعلومات عن مواطن البربر فتابع عقبة مخترقا السوس الأقصى منتصرا على العديد من القبائل البربرية حتى وصل إلى المحيط الأطلسي[4].

اعتقد عقبة بعد أن وصل إلي شاطي المحيط إن عملياته الحربية قد انتهت فأرتد راجعا إلي القيروان حتى إذا وصل إلى طنجة، فأرسل معظم قواته على شكل دفعات ولم يتبق معه إلا عددا محدود من خيرة رجاله ، وتوجه إلى مدينة تهوذة لفتحها وترك حامية دائمة بها ، وعندما رأى البيزنطيون قلة عدده انتهزوا الفرصة للقضاء عليه بالتعاون مع كُسيلة ، فاعترضوا طريق عودته عند تهوذة(*).

فدارت معركة غير متكافئة من حيث العدد كانت نتيجتها استشهاده ومعظم رجاله ولم يبق منهم إلا من وقع في الأسر كان ذلك في سنة (64 هـ /684 م) [1] ،لقد كان لنبأ استشهاد عقبة بن نافع وأصحابه وقع سيء على نفوس المسلمين وأحبط معنوياتهم فأختلف قادة الجند على الانسحاب أو قتال كُسيلة وجموع البربر الزاحفة نحو القيروان وأخيرا أضطر زهير بن قيس إلى الانسحاب إلى برقة وأقام بها[2].

لقد ساعد انسحاب الجيش الإسلامي من القيروان كُسيلة وأتباعه على دخول المدينة والاستيلاء عليها دون قتال ، وقد استمرت سيطرة كُسيلة على القيروان ما يقارب خمس سنوات[3] ،وما إن تولى الخلافة الأموية عبد الملك بن مروان سنة(65هـ/684 م) حتى ولى زهير بن قيس البلوى

(*)أوربة : بالفتح تم السكون وفتح الراء والياء الموحدة قبيلة من البربر البرانس منازلهم فرب فاس =الحموي : معجم البلدان 278/1

(1)الخطيب ، محمد محمد: الحياة السياسية في المغرب الاسلامى وأثارها في نشأة الدويلات خلال القرن الثاني الهجري مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة ، 1989 م) ص 33

(2) الدباغ ،عبدا لرحمن بن محمد الانصارى : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تعليق إبراهيم شيوخ ، مكتبة الخانجى (القاهرة ،1968 م)1/ 147

(*) باغية : مدينة كبيرة وقديمة ذات حصانة ومنعة تقع في أقصى إفريقيا إلى الشمال من جبال الأوراس= البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 50:

(*)لميس : موضع على وادي ملوية . البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص147

(3) ابن خلدون : كتاب العبر 4 /186

(4) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 25

(*) تهوذة :مدينة تقع جنوب جبال الاوراس آهلة بالسكان كثيرة البساتين = البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص74

على إفريقية وأمره بالتوجه إلى القيروان لاستردادها واسترجاع هيبة المسلمين في هذه البلاد ، فتقدم إليها زهير بقواته سنة(69 هـ ،688 م)[4] ، وعندما سمع كُسيلة بقدوم جيش المسلمين أنسحب من المدينة وعسكر لأسباب إستراتيجية في ممس ،حيث دارت معركة عنيفة أسفرت عن انتصار حاسم للمسلمين وهزيمة جيش كُسيلة الذي قتل هو وكبار رجال البربر وقد طارد المسلمون فلول البربر المنهزمة حتى نهر ملوية بالمغرب الأقصى[5] ،وهكذا استطاع زهير استرداد القيروان واسترجاع هيبة المسلمين وأن يقضى على كسيله وكسر شوكة قبيلة أوربة التي لجأت إلى بلاد الزاب واستقرت حول مدينة وليلى بالمغرب الأقصى فلم تقم لها قائمة إلى أن قدم عليها الإمام إدريس بن عبد الله عام(172 هـ / 788 م)[6] بعد هذا النصر الذي أحرزه زهير بن القيس عاد إلى القيروان ، نظم إدارتها تم قرر العودة إلى المشرق لأنه اعتبر أن مهمته الثأر لعقبة واسترداد القيروان وقد كان زهير يزهد في الإمارة لذلك آثر العودة إلى المشرق[1] ، وعند وصوله إلي برقة استطاع البيزنطيين الإيقاع به هو وعدد قليل من جنده في كمين أعدوه له على الساحل فاستشهد هو ومن معه في سنة (69 هـ /696 م) [2] .

لم تستطع الخلافة الأموية لدى وصول نبأ إستشهاد زهير أن تواصل اهتمامها بشؤون المغرب ، حيث كان الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(73 -86 هـ/ 685 -705 م) مشغولا بمحاربة عبدالله بن الزبير[*] في المشرق، فلما تم القضاء عليه تفرغ مرة أخرى وأتجه اهتمامه إلى إقرار الأوضاع في بلاد المغرب واستكمال فتحها فأختار لهذه المهمة حسان بن النعمان الغساني[3].

4 – ولاية حسان بن النعمان الغساني (76 هـ /696 م)

خرج حسان بجيش كثيف فعبر برقة وطرابلس ، حيث إلتحقت به إمدادات عربية وبربرية من قبائل لواته، فدخل القيروان دون أن يجابه أية مقاومة ، ثم توجه إلى قرطاجنة وقد كانت بمثابة القاعدة البيزنطية الرئيسة على الساحل فاستطاع اقتحامها والانتصار على الروم في قرطاجنة وبنزرت وصطفورة ، وبعد هذه الهزائم فرت بقاياهم إلي الحصون والقلاع [4] .

---

(1) أحمد ، نهلة : المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع ،دار المتنبي (أربد ، 2003 م) ص 110
(2) المالكي : رياض النفوس 30/1
(3) المالكي : المصدر نفسه 44/1
(4) ابن عذارى : البيان المغرب 21/1
(5) الناصري : الاستقصاء 1 / 91
(6) ابن خلدون: كتاب العبر 174/6

(1) حسين ،مؤنس : فتح العرب للمغرب ص228
(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 3/ 310
(*)هو عبد الله بن الزبير بن العوام ، أمه أسماء بنت أبو بكر الصديق رضي الله عنه قاد حركته ضد الخلافة الأموية بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبيع له في عدد من الأنصار واتخذ من الحجاز مقر له لكن حركته لم تستمر كثيرا فقد سير له الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قائده الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر مكة واستطاع إن يقتل عبد الله بن الزبير ويقضي علي حركته سنة (73 هـ / 685 م) = زهير الكبي : موسعة خلفاء المسلمين ص 95/85

وبعد أن أنتصر على البيزنطيين ركَّز حسان اهتمامه على محاربة الكاهنة[*] ،التي كانت تقود البربر في جبال الأوراس بعد مقتل كسيلة ، فقد التقى الجيشان بالقرب من نهرنيني وبعد معركة فاصله انتصرت الكاهنة وقد استشهد وأسر العديد من العرب على يد جيش الكاهنة[5].

فأضطر حسان إثر هذه الهزيمة إلى الانسحاب باتجاه برقة، وعسكر في منطقة سميت بعد ذلك بقصور حسان ينظم أموره وينتظر المدد[1] ، أما الكاهنة فعادت إلى جبال الاوراس دون أن تدخل القيروان التي ظلت تحت إدارة المسلمين ، يحكمها رجل عينه حسان بن النعمان ، يدعى أبو صالح[2] ، ظل حسان ما يقارب الخمس سنوات يستكمل استعداداته، حتى جاءته إمدادات الخليفة عبدالملك بن مروان فبدأ بالزحف سالكا الطريق الساحلي حتى مدينة قابس وقرب هذه المدينة دارت معركة بين قوات حسان وجموع الكاهنة انتهت بهزيمتها وظل حسان وقواته تطارد فلول الكاهنة حتى قتلها في مكان أطلق عليه اسم بئر الكاهنة[3] ،بعد أن أخضع حسان البربر وقضى على الكاهنة عاد إلي القيروان في سنه(82 هـ /701م) ثم زحف إلي قرطاجنة لإعادة فتحها ، بعد إن كان البيزنطيون قد أعادو السيطرة عليها في سنة (78 هـ / 697 م) نتيجة لانسحاب العرب منها[4] ،وبقضاء حسان على البربر البتر في جبال أوراس والروم في قرطاجنة استقامت له الأمور فعكف على تنظيم البلاد إدارياً ، فدون الدواوين وعمل على نشر الإسلام بين صفوف البربر ، وأتبع سياسة الاختلاط والإندماج بين العرب والبربر فسعى إلي ضم أعداد من البربر في صفوف الجيش الإسلامي ، كما انه بعث العمال والفقهاء إلي سائر الجهات ينشرون الإسلام واللغة العربية بين قبائل البربر[5] ، وهكذا استطاع حسان أن يحول ولاية افريقية إلي ولاية عربية إسلامية تتمتع باستقلالها عن ولاية مصر ، مما أحدث خلافا مع والي مصر عبدالعزيز بن مروان الذي أخذ يضيق عليه ويحد من صلاحياته حتى عزله سنة (85هـ / 704 م)[6] .

5 – ولاية موسي بن نصير(86 هـ / 705 م)

خلف حسان بن النعمان ولاية المغرب سنه (86 هـ/705م) وما إن وصل إلى القيروان حتى حدد سياسته التي رسمها لفتح المغرب والقضاء على معاقل التمرد والمقاومة ، فبدأ بقلعة زغوان[*] ،وما يجاورها[1]. وأرسل عدة حملات بقيادة أبنائه إلى المناطق المحيطة بالقيروان ومحيطها، حيث

---

(3) خطاب، محمد شيت : قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للنشر (بيروت ،د ت) ص 173
(4) ابن الأثير : الكامل في التاريخ 4 / 370
(*) يذكر ابن خلدون أن الكاهنة تنحدر من قبيلة جراوة البربرية التي دان معظمها بالديانة اليهودية . ابن خلدون : كتاب العبر 108/6
(5) البلاذرى : فتوح البلدان ص 229- 230
(1) حسين، مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 249
(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص228
(3)القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم : تاريخ افريقية والمغرب ، تحقيق المنجى الكعبى ، نشر رفيق السقا (تونس ، 1967 م) ص 58 – 61
(4) حسين، مؤنس : فتح العرب للمغرب ص 256
(5) إدريس ، محمد محمود : حسان بن نعمان ، المطبعة التجارية ، (القاهرة ، 1989 م) ص 21
(6) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف : الولاء والقضاء،صححه رفن كست ، المكتب التجاري للطباعة(بيروت، 1908 م) ص 63

إستطاعت تلك الحملات تحقيق أهدافها وبذلك إستطاع موسى بن نصير أن يجعل من إقليم القيروان وما حوله قاعدة آمنه ينطلق منها لإستكمال عمليات الفتح في تلك المناطق [2] ،وبعد ذلك أخضع قبائل البربر في السوس الأدنى ، ثم واصل إلى طنجة فكان أول من اختط فيها للمسلمين،وبذلك نجح في فتح بلاد المغرب ولم تستعص عليه سوى سبته لمناعتها وعدم وصول الإمدادات إليها من البحر فاكتفى بأن عين مولاه طارق بن زياد واليا على طنجة وكلفة بمراقبة سبته وتشديد الحصار حولها ،أما موسى فقد عاد إلى القيروان لينظم أمور ولاية المغرب ويشرف على بناء قوة بحرية تمهد السبيل للسيادة البحرية على مياه غرب البحر المتوسط وتأمين خطوط الإمدادات[3]،وفي سنة(92 هـ /711 م)أرسل موسى بن نصير حملة لفتح شبه جزيرة أيبيرية وأسند قيادتها لمولاه طارق بن زياد الذي أستطاع تحقيق انتصارات على القوط في عدة معارك،وبعدها لحق به موسى بن نصير لإستكمال الفتح،وبذلك صارت الأندلس تابعة للقيروان،ثم عاد موسى إلى القيروان،بعد أن ترك أبنه عبدالعزيز واليا على الأندلس[4]،ليجد كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه فاستخلف على القيروان أبنه عبدالله وعلى طنجة أبنه عبدالملك ثم توجه إلى دمشق ليصل إليها قبل وفاة الوليد بن عبدالملك بأيام قليلة[1]، لتبدأ في تاريخ المغرب مرحلة جديدة وهي ما عرفت بعصر الولاة وهي التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (96-86هـ / 705 -715 م) لموسى بن نصير من الأندلس والمغرب سنه (96هـ/ 714 م) وحتى قيام الدول المستقلة بتلك الأرجاء[2].

ثالثاً : أوضاع بلاد المغرب الإسلامي في عصر الولاة :

يطلق عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت إستدعاء موسى بن نصير من الأندلس والمغرب سنة (97 هـ / 716 م) وذهابه إلى المشرق بناء على أوامر الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك[3] ، وهي الفترة التي انتهت فيها عمليات الفتح في بلاد المغرب وحتى قيام الدول

(*) زغوان : منطقة جبلية فيها قرى كثيرة على مسيرة يوم من القيروان = الحموي : معجم البلدان 3 / 144
(1)سالم ، السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص 167 ،عبد الواحد ذنون : المرجع السابق ص111
(2) العدوى، إبراهيم سالم : بلاد الجزائر تكوينها الاسلامى مطبعة الانجلو المصرية (القاهرة ،1984 م) ص 123
(3) البلاذرى : فتوح البلدان ص 332
(4) الرقيق، القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص85

(1) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 44
(2) إبراهيم، العدوى : بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي ص 164
(3) المرجع نفسه : ص 164
(4) حسين، مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة (القاهرة ، 1992 م) ص 65
(5) الباجى ، أبى عبد الله محمد : الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، مطبعة بيكار (تونس ، 1323 هجري)ص 65

المستقلة وإنقطاع التبعية المباشرة لدولة الخلافة،وقد أختلفت الفترة الزمنية لذلك العصر بإختلاف أقاليم بلاد المغرب[4].

1 - ولاية محمد بن يزيد (97 - 100 هـ / 715 - 718 م)

لم يكن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (96هـ-99هـ/715م-717م) راضياً على سياسة موسى بن نصير في بلاد المغرب والأندلس ، فعزله وولى مكانه محمد بن يزيد القرشي سنة (97 هـ/715 م)وقد نعمت البلاد في زمنه بالأمن والاستقرار وكان حسن السيرة عادلاً في حكمه ،كما قام ببعث السرايا إلى ثغور إفريقية[5]، لنشر الإسلام بين صفوف البربر،وقد استطاع بحسن تدبيره وسياسته الحكيمة من إشراك البربر في سراياه وفي كسب أفواج جديدة من البربر إلى الإسلام ، وقد استمرت ولايته سنتين وأشهر[1].

2- ولاية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر (100 - 101 هـ / 718 -719م)

بعد أن تولى الخلافة الأموية عمر بن عبدالعزيز (99 هـ-101هـ / 717 م-721م) أختار لولاية أفريقية والمغرب إسماعيل بن عبيد الله[2] وقد كان من أفضل ولاة بني أمية في بلاد المغرب، وقد وصفته المصادر التاريخية "بأنه خير والي وخير أمير[3] . وكان جل اهتمامه منصباً على دعوة البربر إلى الإسلام وأمتاز عهده بانتشار الإسلام بين صفوف القبائل البربرية، فأسلم عامة البربر في ولايته ، وقد بعث إليه الخليفة عمر بن عبدالعزيز مجموعة من التابعين من أهل العلم والفضل وأوصاهم بأن يبذلوا جهدهم لتعليم البربر قواعد الإسلام حتى يقوم إسلامهم على أساس متين[4].

3 - ولاية يزيد بن أبي مسلم (102 هـ / 720 م)

بعد أن آلت الخلافة الأموية إلى يزيد بن عبد الملك(101هـ-105هـ/720م-724م) أسند ولاية أفريقية والمغرب إلى يزيد ابن أبي مسلم الذي قدم إليها (102 هـ / 720 م) وقد اتسم بالقسوة والظلم فقد حاول أن يضع الجزية على من أسلم من البربر[5]، وأراد أن يسم حرسه على أيديهم على نحو ما كان يصنع ملوك الروم ، فلما سمعوا ذلك اتفقوا على قتله وقد نجحوا في ذلك وهو يؤدي الصلاة بعد شهر من ولايته[6] .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 47
(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 241
(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 47
(4) الخشني ، محمد بن محمد الحارث : طبقات علماء إفريقية ، تقديم محمد زينهم محمد ، مكتبة مذبولي (القاهرة ، 1993 م) ص 7- 8
(5) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 188
(6) زيتون، محمد محمد : المسلمون في المغرب والأندلس ، دار الوفاء ، (القاهرة ، 1984 م) ص 65

4 - ولاية بشر بن صفوان الكلبي :(102 هـ / 720 م)

تنبه الخليفة يزيد بن عبدالملك إلى سلبيات السياسة التي أتبعها الوالي السابق في أفريقية وبلاد المغرب ، فأسند إليها بشر بن صفوان الذي قدم إلى الولاية سنة (102 هـ /720 م) فعمل على تهدئة خواطر البربر وكانت سياسته تقوم على المساواة وتحقيق العدل بين البربر ، فأثمرت سياسته فسادت فترة من السلم والهدوء في أفريقية وبلاد المغرب[1] .

5 - ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي (110 هـ / 728 م) :

تولى ولاية أفريقية وبلاد المغرب من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105هـ-125هـ/724م-743م) وقد كان قاسياً في سياسته فتحامل على عمال ورجال الوالي السابق فأغرمهم وعذب بعضهم فوصل خبرهم إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي أمر بعزله[2] .

6 - ولاية عبد الله بن الحبحاب (116 هـ /734 م) :

أختاره الخليفة هشام بن عبدالملك لولاية أفريقية وبلاد المغرب ، لما يتمتع به من خبرة إدارية واسعة ، فقد كان على ولاية مصر[3]، فعمل منذ توليه الولاية على تنظيم شؤونها وأرسل الولاة إلى أقاليم الولاية فاشتدوا في معاملة البربر وكان أشد عماله عمر المرادي الذي كان على إقليم طنجة والذي أساء السيرة وتعدى على الصدقات والعشر ، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فئ للمسلمين[4]، وقد بالغ عمال بن الحبحاب فتغالوا في جمع طرائف المغرب من الوصائف البربريات والجلود العسلية ، فكثر عبثهم في أموال البربر[5].

كانت تلك السياسة التي أتبعها العمال سبباً في إظهار السخط الذي أظهره البربر ، وهيئت تلك التجاوزات التي قام بها العمال بظهور حركات الثورة والتمرد وكانت مقدمة لظهور حركة الخوارج في بلاد المغرب[1]، لم يشهر البربر تمردهم على الخلافة في بادئ الأمر رغم جهود دعاة الخوارج ، فآثروا إبلاغ دار الخلافة بمساوي عمالهم ومطالبتهم بإصلاح أوضاعهم، فلما فشلوا في ذلك عزموا على إعلان التمرد والخروج على سلطة الخلافة[2].وينسب ابن خلدون ظهور الأفكار

---

(1)سالم ، السيد عبد العزيز : المغرب الكبير 2 / 295
(2) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 51
(3) المصدر نفسه: 1 / 53
(4) الرقيق، القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 109
(5) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 240
(1) حركات، إبراهيم : السياسة والمجتمع في العصر الاموى ، دار الأفاق (الرباط ، 1990م) ص 88
(2) سعد، زغلول : تاريخ المغرب العرب من حتى قيام دولة الاغالبة 1 / 217

الخارجية[*]، في بلاد المغرب الإسلامي إلى وفود المشرق التي ظهرت في بلاد المغرب لبعدها عن مركز الخلافة فتسللوا بين البربر وأخذوا يبثون تعاليمهم بينهم ، مستغلين الأوضاع السيئة التي يعاني منها البربر كما إن البربر قد وجدوا في مذهب الخوارج ما يناسب وضعهم والسياسي فاتخذوه عنوانا للمعارضة ضد أي سيادة [3]،وقد ظهرت عدة حركات وثورات قام بها البربر ضد الولاة ومن بينها ثورة ميسره المطغري والتي انبعثت شرارتها من مدينة طنجه التي كانت تسكنها قبيلة مصمودة ومطغرة [4] ، وقد أنضم إلى هذه الثورة بعض القبائل البربرية وبعض الجماعات من الأفارقة التي يتزعمها عبد الأعلى بن جريح[5] ، ولقد كانت هذه الحركة التي قادها ميسرة على عمال بني أمية في المغرب الأقصى بعد أن اعتنقوا المذاهب الخارجية ومن أشهرها المذهب الصفري الذي أنتشر في المغرب الأقصى وقد كان في خروجهم على أولئك العمال لظلمهم وفسادهم، وقد ظهرت هذه الثورة سنة (122 هـ /741 م) وكانت أول الحركات الاستقلالية في المغرب الأقصى[6] ،أستطاع ميسرة المطغري بعد أن تمكن من استمالة قبائل البربر إلى جانبه فزحف بهم نحو طنجه فقتل عاملها عمر بن عبد الله المرادي وبذلك استولى على طنجة وعمت الثورة بلاد السوس الأدنى ، وقد شجعت هذه الانتصارات ميسرة المطغري للتقدم نحو أفريقية بعد أن تسمى بالخلافة وعين العمال[1]، فما كان من الوالي عبيد الله بن الحبحاب إلا أن جهز جيشاً من القيروانيين جعل عليه خالد بن حبيب الذي تقدم نحو حركة التمرد فالتقى بهم بالقرب من طنجة ولم تكن نتيجة المعركة التي دارت بين قوات الطرفين حاسمة .

مما أضطر ميسرة إلى الانسحاب والتراجع ، فكرهه البربر لسوء سيرته فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي الذي قاد قوات البربر في معركة عنيفة وأنزل بقوات العرب هزيمة كبرى بعد أن قتل القائد خالد بن حبيب ومجموعة من أصحابه وقد سميت تلك المعركة بمعركة الأشراف[2]، ويوصفها ابن عذارى (فقتل في تلك الوقعة حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها [3]، انتفضت بلاد المغرب بعد هزيمة العرب في موقعة الأشراف سنة (122هـ /740م) وتحرج موقف الوالي ابن الحبحاب في القيروان فاستدعاه الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك سنة (123 هـ / 740 م) ،انعكست نتائج هذه الهزيمة على الوضع العام في بلاد المغرب فقد نجحت في فصل

(*) يطلق اسم الخوارج على أهل الآراء والأهواء لخروجهم على الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعتقداتهم هي إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور : الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل ، تح أمير علي مهنا وعلي حسن، دار المعرفة (القاهرة ، 1993 م) 114/1

(3) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 240

(4) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 52

(5)سالم ،السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص 218

(6) الرقيق، القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص 109

المغرب الأقصى عن سيطرة الخلافة الأموية وأخذ سكانه من القبائل البربرية يعتمدون على أنفسهم في حل مشاكلهم حسب أوضاعهم الدينية والاجتماعية والسياسية [4] .

7 - ولاية كلثوم بن عياض القشري (123 هـ / 741 م)

أجبرت تطورات الأحداث في بلاد المغرب والناتجة عن تمرد البربر وهزيمة العرب في موقعة الأشراف أن يرسل الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك جيشاً قوامه ثلاثون ألفاً بقيادة كلثوم بن عياض ومعه مجموعة من القادة ومنحه صلاحيات واسعة في البلاد التي يمر بها[1] .

على الرغم من الاستعدادات الهائلة التي زود بها هذا الجيش إلا أن عوامل الضعف فيه كانت تنذره بالفشل منذ البداية ، فقد أفتقد إلى النظام والتجانس وظهرت فيه العصبية القبلية منذ أن وصل إلى القيروان ،فأصبح في حالة من التصدع والانشقاق والتفرط[2] .

زحفت قوات الجيش الإسلامي بقيادة كلثوم بن عياض نحو مناطق المغرب الأقصى وعند نهر سبو في طنجة دارت معركة عنيفة مع البربر بقيادة خالد بن حميد الزناتي[3] ، انتهت هذه المعركة بهزيمة قوات كلثوم بن عياض الذي قتل مع عدد من قواته في ساحة المعركة وانسحبت بقية الجيش إلى القيروان ولجأ بعضهم إلى الأندلس[*] وبعد هذه المعركة أنفصل المغرب الأوسط عن سلطة ولاية القيروان وأصبح هم الولاه المحافظة على المغرب الأدنى ومقر ولايته القيروان[4] .

8 - ولاية حنظله بن صفوان الكلبي (124 هـ / 742 م)

لقد كان تمرد البربر واستقلال المغربين الأوسط والأقصى وهزيمة القوات العربية عند نهر سبو مشكلة كبيرة للخلافة الأموية في المشرق والتي تابعت جهودها لوضع حد لحركات التمرد التي قامت بها القبائل البربرية في المغرب، فأرسلت حنظلة بن صفوان الكلبي إلى ولاية إفريقية والمغرب[1] ،وقد تصادف وصوله مع ازدياد حركات التمرد التي شكلت من عدة زعماء أهمها :

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 186 ، كذلك ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب 246
(2) الرقيق ،القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ص 111
(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 54
(4) حسن، احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص17

(1) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي : تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ، مؤسسة المعارف (بيروت ، 1994 م) ص 80-81
(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص 248
(3)الناصري : الاستقصاء 1 / 111
(*) انسحب بلج بن بشر في عشرة الألف مقاتل إلى سبته تم عبر إلى الأندلس بناء على رغبة والي الأندلس عبدالملك بن فطن الفهري للاستعانة بهم في قمع ثورة البربر في الأندلس = ابن عذاري : البيان المغرب 55/1
(4) دبوز، محمد على : تاريخ المغرب الكبير ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة د ت) 2 / 238
(1) عبد الواحد، ذنون : تاريخ المغرب ص 228

عبد الواحد بن يزيد الهواري وعكاشة بن أيوب الفرازي اللذان استطاعا نقل حركة التمرد إلى المغرب الأوسط والأدنى عبر منطقة الزاب فقد كان هدفهما التأهب للزحف على القيروان[2].

استطاع حنظله بن صفوان بحسن تدبيره وتخطيطه التغلب عليهما بمفاجئة حشود عكاشة عند منطقة القرن فأنتصر عليه وفر عكاشة من المعركة بعد أن خسر معظم قواته ،وكان اللقاء الثاني مع قوات عبدالواحد بن يزيد الهواري عند موضع يعرف بالأصنام ، استطاع خلال هذه المعركة من التغلب على حشود البربر وفقد أعداد كبيرة منه[3] ، بعد هذه الانتصارات التي حققها الوالي حنظلة بن صفوان استردت الخلافة الأموية بعضاً من نفوذها في المغرب الأدنى وإقليم الزاب، لكنها لم تنجح في تحقيق السيطرة على بقية أجزاء المغرب فقد كانت الخلافة الأموية في المشرق تلك الفترة تعاني من حالة عدم الاستقرار والأضطراب في بلاد المشرق انعكست نتائجها عن الأوضاع العامة في بلاد المغرب فظهرت على شكل ثورات وتنافس على السلطة والنفوذ في ولاية أفريقية، كاستيلاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري[*]على ولاية أفريقية وانتزاعها من حنظلة بن صفوان ،كما اندلعت اضطرابات وحركات تمرد سياسية ومذهبية أدت إلى عدم الاستقرار في عموم بلاد أفريقية وبلاد المغرب وتراجع النفوذ العربي الإسلامي في المغرب الأقصى[4] ، وعندما سقطت الخلافة الأموية في المشرق سنة (132هـ/ 749 م) وقامت على انقاضها الخلافة العباسية التي انشغلت بتثبيت أركانها في المشرق ظلت بلاد المغرب تعاني من التدهور والانقسام الأمر الذي أدى إلى ظهور كيانات جديدة[1] ،وبعد أن وطدت الخلافة العباسية نفوذها في المشرق وجهت أنظارها نحو بلاد المغرب وإفريقية وبذلت جهوداً لمحافظة على ولاية إفريقية لذلك وجه الخليفة العباسي أو جعفر المنصور (136 -158 هـ/ 754- 775م) محمد بن الأشعث الخزاعي والياً على إفريقية سنة (144 هـ / 661 م) وزوده بجيش قوامه أربعون ألف مقاتل وكلفه بإسترداد القيروان والقضاء على حركة عبد الأعلى بن السمح المعافري والذي كان على مذهب الخوارج الاباضية[2] ، ورغم الجهود التي قام بها محمد بن الأشعث في المغرب الأدنى إلا أن سياسته كانت تقوم على الاحتفاظ بالقيروان لتكون سداً منيعاً أمام الحركات الخارجية التي تفشت في أرجاء المغرب عموماً[3].

---

(2) الرقيق، القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 80

(3) حمودة، عبد الحميد حسين :تاريخ المغرب في العصر الاسلامى منذ الفتح الاسلامى وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر(القاهرة، 200م) ص 138 – 139

(*) هو عبد الرحمن، بن حبيب بن أبي عبيده بن عقبه بن نافع الفهري ، كان من جملة القادة الذين لجأ وا إلى الأندلس عقب معركة نهر سبو فخرج منها إلى إفريقيه سنة(127هـ / 745 م) ودعي لنفسه بالولاية ومارس ضغوطا على والي القيروان حنظلة بن صفوان إلى إن تخلي له عن ولايته وأصبح عبد الرحمن هو الوالي في القيروان وحصل على إقرار من الخلافة بذلك وقد واجه حركات تمرد وعصيان في ولايته إلى إن اغتيل سنة (137 هـ/757م) = القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 121 – 124

(4) طقوس، محمد سهل : تاريخ الفاطميين في إفريقيا ومصر وبلاد الشام ، دار النفاش (بيروت ، 2001م) ص 19

(1) الخطيب، محمد محمد : دويلة بني مدرار ، مطبعة الحسين (القاهرة ، 1989 م) ص 11 – 12

(2) محمد، على دبوز : تاريخ المغرب الكبير 3 / 55

(3) شاكر، مصطفى : دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، 1983م) 1 / 240

غير أن الانتصارات التي حققتها جهود الخلافة العباسية على الخوارج الاباضية في المغرب الأدنى وحالة الهدوء التي أعقبت تولي "عمر بن حفص المهلبي(سنة 151هـ/ 768 م) ولاية إفريقية ،جعلت السياسة العباسية تتطلع لبسط نفوذها على المغرب الأوسط ، وقد جاء هذا التطلع في التوجيهات التي حملها كتاب أبوجعفر المنصور إلى الوالي عمرو بن حفص والذي يأمره بتحصين مدينة طبنه(*) ،وتجديد سورها لتكون قاعدة ينطلق منها لبسط نفوذه على عموم المغرب الأوسط والأقصى(4).

كان زعماء الخوارج في بلاد المغرب قد تكاثفوا من أجل محاربة الوالي عمر بن حفص ولوقف جهود الخلافة العباسية والتصدي لتطلعاتها نحو بلاد المغرب عموماً فجمعوا جيوشاً كان على رأسها أبو قره اليفرني(5) ،ورغم كثرة عدد البربر الخوارج إلا أنهم كانوا غير متفقين فكل منهم يعمل منفرداً ، فاستطاع عمر بن حفص أن يستغل ذلك فبذل الأموال وعمل الحيلة لصرف تلك الجيوش عن طريق شراء بعض قادة التمرد مما أدى إلى تفرقهم وقد كانت تلك الحادثة أخطر حركات التمرد التي شهدتها بلاد المغرب(1). لقد بذلت الخلافة العباسية جهوداً كبيرة في سبيل المحافظة على المغرب الأدنى فدخلت في مواجهات مع قبائل البربر وحركات التمرد لمدة سنوات طويلة، فقد بلغت المواجهات والمعارك منذ تولي عمر بن حفص ولاية إفريقية إلى أن استقرت أحوالها ثلاثمائة وخمسة وسبعون معركة(2) ، وقد كانت حركات التمرد و الثورات التي قام بها الخوارج ضد ولاة الخلافة في إفريقية و المغرب الأوسط تنذر في بعض الأحيان بسقوط ولاية إفريقية في أيديهم ، لدرجة إنهم تمكنوا من التغلب على والي إفريقية عمر بن حفص واستطاعوا اقتحام القيروان و احتلالها لمدة عامين(3)، وبعد مقتل عمر بن الحفص أسندت الولاية ليزيد بن حاتم سنة(170هـ / 788 م) ، ثم إلى رواح بن حاتم شقيق يزيد سنة (171 هـ - 174 هـ/ 788م–791م) ثم إلى نصر بن حبيب سنة(174 هـ / 774 م)(4) ، ثم رأت الخلافة العباسية أن تسند الولاية إلى هرتمه بن أعين سنة(181-179هـ/795-797م) ثم محمد بن مقاتل العكي سنة (184-181 هـ/797– 800 م) ، والذي كان آخر ولي للخلافة العباسية قبل أن يتم الاتفاق بينها وبين إبراهيم بن الأغلب وبذلك ظهرت الدولة الأغلبية والتي أصبحت بمثابة دولة حاجزة لحماية إطراف الخلافة العباسية من جهة الغرب (5).

(*) مدينة تقع في الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين عليها سور من تراب وأهلها أخلاط= الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق 263/2

(4)سالم ، السيد عبد العزيز: المغرب الكبير 2 / 351

(5) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 75

(1) الناصري : الاستقصاء 1 / 130

(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ 5 / 24

(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1 /76

(4) سعد، زغلول : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة 1 / 379 . 386

(5) الباجي : الخلاصة النقية في أمراء افريقية ص 19 – 22

وقد أنصرف الولاة العباسيين إلى مواجهة الأخطار التي تتهدد ولاية القيروان دون التطلع إلى مد نفوذهم نحو المغرب الأدنى والأقصى مما أدى إلى ظهور دول الخوارج في عموم بلاد المغرب فقامت دولة الرستميين في تاهرت سنة(161هـ /777م)[1] ، كما قامت دولة بني مدرار في سجلماسة[*] ، سنة(140 هـ / 757م)إلى جانب ذلك ظهرت تجمعات للخوارج الصفرية في تلمسان تحت نفوذ أبي قره اليفرني بعد أن دعا لنفسه بالخلافة وخضعت له أجزاء من المغرب الأوسط[2]، لقد كانت الحوادث التي مرت بها بلاد المغرب وإفريقية لها دور كبير في الأوضاع العامة لاستقلال بلاد المغرب الأقصى كما الانقلاب السياسي الذي قاده العباسيين في المشرق ، وانتزاعهم الخلافة من بني أمية وظهور دولتهم التي ارتكزت علي دعاة استمر عملهم فترة طويلة حتى ظهرت دولتهم فكانت مفاجئة لأهل المغرب ، الذين لم يتقبلوا دعوتهم ، ولم تذكر المصادر التاريخية أي إشارة علي ما يؤيد أن العباسيين بعثوا دعاتهم أو نشروا أفكارهم في بلاد المغرب الإسلامي، فأصبحت الدولة العباسية عاجزة عن عمل أي شيء تجاه تلك الحوادث [3] .

الفصل الثاني

قيـــام دولـــة الأدارســة

(1) الحريري، محمد عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامى ، دار القلم (الكويت ، 1987م) ص 34
(*) سجلماسة : مدينة بالمغرب الاقصي بنيت سنة (140 هـ / 757 م) بينها وبين فاس ثلاثة عشرة مرحلة ، وهي مدينة سهلية مبنية على نهرين حولها أرباض كثيرة تشتهر بكثرة الفواكه ويربطها طريق تجاري مع بلاد السودان الغربي = البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 148 ، 149
(2) الطالبي، محمد : الدولة الأغلبية ، ترجمة المنجى الصيادي ، دار الغرب الاسلامى (بيروت ، 1985م) ص 78
(3) الراشد، عبد الجليل : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، منشورات مكتبة النهضة (الرياض ، 1969م) ص 117 - 130 .

أولا: ظهور آل إدريس في المشرق

ثانيا : مصير آل إدريس بعد معركة فخ

ثالثاً : المرحلة الانتقالية

رابعا: خلفاء الإمام إدريس الثاني

خامساً ـ سيطرة موسي بن أبي العافية على المغرب الاقصي

أولا : ظهور آل إدريس في المشرق :

لم تنقطع ثورات العلويين منذ مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كربلاء(*)، بل كان ذلك شغلهم الشاغل فقد دأبوا على القيام بثورات ضد الحكم الأموي لنيل حقهم في الخلافة متى وجدوا الفرصة سانحة لهم(1).

غير أنه ومنذ فشل ثورة زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب (124 هـ/741 م) ومن بعده ثورة ابنه يحيى سنة (125 هـ/ 742م)(2) ،وقد تزعم العلويين محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية(*) ،بعد اندماجهم في سلك الدعوى العباسية، وقد كانت دعوتهم تقوم على الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحقق هذا الاندماج في مبايعة بني هاشم من العلويين والعباسيين لمحمد النفس الزكية في سنة (127 هـ / 744 م

(*) معركة كربلاء وقعت يوم عاشورا في سنة (61 هـ / 680 م) بين أنصار الحسين بن علي بن أبي طالب وقائد الأمويين في موقع قرب الكوفة وانتهت لصالح الأمويين وقتل الحسين بن علي مع اثنان وثمانون رجلاً من أصحابة= ابن العماد ، شهاب الدين أبي الفلاح : شذرات الذهب في إخبار من ذهب ، تح ، عبد القادر الارناؤوطي ، دار ابن كثير (بيروت ، 1986 م) 273/1

(1)حسن، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 2001م) 2 / 101

(2) الاصفهانى ، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد : مقاتل الطالبيين ، تح احمد صقر ، دار المعرفة (بيروت ، د ت) ص 137

(*) هو محمد، بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان قد بُيع له في كثير من الأمصار بالخلافة وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه ، وكان متخفيا عن المنصور و لم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله و أبناء عمومته للضغط عليه و ليرغمه على الخروج ثم استطاع المنصور القضاء عليه وعلي ثورته عام (145هـ/ 763م)= المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين :مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح محمد محي الدين ،مطبعة المكتبة العصرية(بيروت ،1988 م) 3/ 372- 374

)[3] ،إلا أنه بعد نجاح الدعوة العباسية وانقراض دولة بني أمية وآل الأمر بعد ذلك إلى العباسيين الذين أستأثروا بالخلافة دون العلويين فما كان موقفهم إلا الخروج عن حكم العباسيين الذين تنكروا تلك البعية فبادلوهم العداء[4].

لذلك نشب الخلاف بين العلويين والعباسيين في عهد أبو جعفر المنصور (136-158هـ / 754 - 775 م) وتطور الأمر بأن أمر ابوجعفر المنصور بحبس عبد الله بن الحسن و أقاربه وجد في طلب محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم وأتباعه وتبادل العلويين والعباسيين الاتهامات عن طريق المراسلات التي بُدلت بين أبو جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية ، وفي هذه المرحلة نجد أن آل إدريس تعرضوا في فترة حكم أبي جعفر المنصور إلى الحبس والملاحقة والقتل وتضييق الخناق عليهم خوفاً من انسياق الناس إلى دعوتهم[1] ، فقد أستطاع محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم الإفلات من قبضة أبي جعفر المنصور والتخفي والتنقل من مكان إلى آخر وفي هذا يذكر الطبري " إن أبا جعفر المنصور أمر بإذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح " بل كان يسأل عنه حتى المنجمين[2]. فلما ضاقت السبل أمام محمد النفس الزكية ووصلته أخبار عما حل بأبيه وأهله على يد رجال أبي جعفر المنصور قرر إعلان ثورته في المدينة بالإتفاق مع أخيه إبراهيم في البصرة [3].

استطاع محمد النفس الزكية أن ينشر ثورته في الحجاز وأتخذ من المدينة قاعدة له ، فأرسل المنصور جيشاً لقتاله بقيادة عيسى بن موسى الذي زحف بجيشه وحاصر المدينة للحيلولة دون وصول نجدات إليها فدار قتال شديد بين الفريقين أنتهى بمقتل محمد النفس الزكية في سنة (14 رمضان / 145 هـ/ 762م)[4].

أما عن ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة فقد تأخرت عن موعدها ورغم أنه أستطاع في البداية أن يتغلب على البصرة والأهواز إلا أن أبو جعفر المنصور فور قضائه على ثورة محمد في المدينة وجه جيشه لإخماد ثورة إبراهيم وقد تمكن الجيش العباسي أن يلحق الهزيمة بالعلويين وقتل إبراهيم في باخمري[*] ،في(25 ذوالقعدة /145 هـ / 763 م)[5] ،بعد الهزائم والنكبات التي مني بها العلويين على يد العباسيين أخلد معظمهم إلى السلم والهدوء حتى سنة (169 هـ / 785 م) وذلك في عهد الخليفة العباسي موسى الهادي[*] ،

---

(3) حسن، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي 2 / 102
(4) العربي، إسماعيل : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1983 م) ص 54-56
(1)ابن الطقطقى،محمد بن على طباطا،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية دار بيروت للطباعة(بيروت،1966م) ص 163-165
(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت، د ث) 6 / 622
(3) مصطفى، شاكر : دولة بني العباس 1 / 219
(4) الطبري :تاريخ الأمم والملوك 1 / 219
(*) قرية من قرى الكوفة تقع على بعد 17 فرسخ - الحموي : معجم البلدان 237/3
(5) أبو الفدا ، عماد الدين إسماعيل : المختصر في أخبار البشر (القاهرة 1315م) 3 /3
(*) موسي بن محمد بن المهدي بن عبد الله المنصور رابع الخلفاء العباسيين تولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة(169هـ /785 م) ، زهير الكبي :موسوعة خلفاء المسلمين 2/ 20

(169 - 170 هـ / 786 /786 م) فقد ظهر نشاط العلويين في خوراسان والمدينة مما أدى بالخليفة العباسي إلى تشديد المراقبة عليهم[1]، خصوصاً في المدينة بعد أن عين عليها " عمر بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب"[2] ،الذي ينسب إليه التشهير ببعض العلويين في أسواق المدينة الأمر الذي أدى إلى إظهار سخطهم وإثارتهم[3]، وقد قادهم الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ثورة على الأوضاع التي يعاني منها العلويين وقد استطاع هو وجموع العلويين السيطرة على المدينة وقصد بعدها مكة في نحو ثلاثمائة رجل[4] في(24 ذوالقعدة 169هـ/786م) فأرسل إليه الخليفة العباسي قائده سليمان بن محمد في أكثر من أربعة الآف مقاتل ، وقد دارت بين الفريقين معركة عنيفة وغير متكافئة في منطقة فخ[*] في يوم (8 ذوالحجة 169هـ/786ميلادي) والذي صادف يوم التروية[*] ، وقد انتهت المعركة بهزيمة العلويين ومقتل الحسين مع أكثر من أنصارهم وصادف أن نجا من هذه المعركة من العلويين إدريس بن عبد الله وأخوه يحيى[*]، أخوة محمد النفس الزكية[5] .

ثانيا : معركة فخ ونتائجها (169 هـ / 785 م) :-

لقد كانت معركة فخ بعيدة الأثر على العلويين وأنصارهم فقد استطاع إدريس[*]، بن عبد الله وأخوه يحيى أن ينجو من هذه المذبحة التي قتل فيها الحسين وعدد كبير من العلويين الذين بلغو نحو مائة ونيف[6]، فكانت هذه المعركة شديدة الوطأة على العلويين وأنصارهم وقد أفقدتهم القدرة على تحريك اتجاهاتهم السياسية التي كانت تميل إلى الثورة في سبيل الظفر بالخلافة التي اعتبروها حقاً شرعياً لهم، وقد رثى عيسى بن عبد الله ضحايا هذه المعركة بأبيات منها :

فلأ بكين على الحسيـــن بعولة وعلى الحَسَـــــن
وعلى ابن عاتكة الــذي واروه ليس بذي كفـــــن
تركوا بفخ غـــــدوة في غير منزله الوطـــــن
كانوا كراماً هيجـــوا لا طائشين وجبـــــن[1]

---

(1) حسن، إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي 110/2 - 114
(2) الطبري : تاريخ الأمم والملوك 135/5
(3) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص 444
(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 8/ 197
(*) فخ بفتح اولة وتشديد ثانية موضع يبعد عن مكة بثلاثة أميال = الحموي: معجم البلدان 237/3.
(*) يوم التروية : هو اليوم الثامن من ذي الحجة
(*) استطاع يحي بن عبدالله أن يخرج إلى المشرق فظهر في بلاد الديلم فاجتمع إليه الناس وبايعوه بالإمامة فندب إليه الرشيد الفضل بن يحي الذي استطاع إن يوقع به بعد إن صالحه وكتب له كتاب أمان بخط الخليفة العباسي فعاد إلى الرشيد الذي لاطفه أول الأمر تم حبسه وتخلص منه (سنة 176 هـ/782م) = ابن الطقطقي :الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص 194
(5) الأشعري ، أبي الحسن إسماعيل : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 1950 م) ص 145
(*) هو إدريس، بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن ابن علي ابن أبي طالب = البري : محمد بن أبي بكر الأنصاري : الجوهرة في نسب الإمام على وآله، تح محمد التونجي ، دار الجبل (بيروت ، 1993 م) ص 35 ، ينظر الملحق رقم (3) ص 126
(6) الناصري : الاستقصاء 2 / 153
(1) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر 2 / 257

بعد معركة فخ بث العباسيون عيونهم في كل مكان بحثاً عن العلويين في محاولة لإستاصالهم، وقد استطاع إدريس التخفي عن أنظارهم فترة حتى تسنى لهم الخروج من الحجاز في جملة قوافل حجيج مصر وإفريقية يرافقه مولى له يدعى راشد الأوربي(*) ،وقد عرف عنه الشجاعة والحزم والقوة والنصيحة لآل البيت[2]، فأختار إدريس ورفيقه راشد التوجه إلى بلاد المغرب وقد كان هذا الإختيار عن تخطيط مدروس من قبل راشد، فبلاد المغرب بلاد واسعة بعيدة عن مركز الخلافة ببغداد كما أنها شبه مستقلة عن أي سلطة تحكمها[3] .

1- وصول إدريس إلى مصر :-

كان للعلويين أنصار في بعض أمصار الدولة العباسية ومنها مصر ، فقد كان صاحب بريدها واضح بن عبد الله يميل لآل البيت ، وقد استطاع إدريس الاتصال به[4]، ويختلف المؤرخون في رواية الطريقة التي تمكن إدريس بواسطتها الوصول إلى المغرب ، فالبكري ذكر أنهما مرا في مصر بدار مشيدة ، يدل ظاهرها على نعمة أهلها فجلسا في دكان على باب الدار ، فرآهما صاحبها ، فعرف من لهجتهما أنهما من الحجاز، فأخذ عليه راشد العهود والمواثيق أن يقوم بأحد أمرين، إما إيواءهما أو التستر عليهما ، ففعل فأخبره بخبر إدريس وقد جئت به أريد بلاد البربر، فإنه بلدنا لعله يؤمن فيه ويعجز من طلبه فأدخلهما الرجل وتستر عليهما فترة من الوقت إلى أن تهيأ له إخراجهما من مصر وقد أتفق معهما على أن يسير هو مع إدريس في طريق غامضة غير طريق القوافل المارة بمصالح مصر خشية أن يكشف أمر إدريس عند التفتيش ويمضي راشد مع القافلة ، فيلتقيان في موضع قريب من إفريقية[1].

وبهذه الطريقة استطاع إدريس التعرف على واضح الذي سهل له مهمة الخروج من مصر ، غير أن الكندي صاحب كتاب الولاة والقضاة يشير صراحة إلى أن والي مصر من قبل العباسيين علي بن سليمان قد أتصل بإدريس وقدم له المساعدة في الخروج من مصر بسبب إستياءه من الخليفة العباسي في بغداد وطموحه في نيل الخلافة لنفسه وقد كان هذا الموقف قد تسبب في عزله عن ولاية مصر[2].

أما بقية المؤرخين فيتفقون على أنهما نزلا بمصر وكان على بريدها واضح بن عبد الله ويعرف بالمسكين وكان يتشيع لعلي ، وبلغه وصول إدريس إلى مصر فأتاه إلى الموضع الذي كان متخفياً فيه ، وساعده على الفرار من مصر إلى بلاد المغرب فحمله على البريد هو ومولاه راشد حتى نزلا

(*) يذكر ابن الآبار إن راشد الاروبي هو مولى عيسي بن عبدالله بن الحسن . ابن الآبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله : الحلة السيراء ، تح حسين مؤنس، دار الكتاب (القاهرة ، 1967م) 98/1 .

(2) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص 489 - 492

(3) نصر الله، سعدون : دولة الأدارسة في المغرب ص 60

(4) الناصري: الاستقصاء 2 / 153

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب 118 - 119

(2) الكندي: كتاب الولاة والقضاة ص 131 – 132

بمنطقة أوليلة من أعمال طنجة[3] ، لقد أستغل واضح مركزه في مصر فعمل على إنقاذ إدريس ومولاه راشد وقدم لهما كافة التسهيلات بل أنه رافق إدريس إلى أن أوصله إلى تخوم أفريقية وقد دفع واضح حياته ثمن هذا العمل فصلب في زمن الخليفة هارون الرشيد[4]،من هذه الروايات نستخلص أن إدريس ورفيقه راشد قد كانا على علاقة بواضح ويعرفانه جيداً فحال وصولهما إلى مصر اتصلا به ونزلا عنده وعمل هو على إخراج إدريس ومولاه راشد من مصر في قافلة البريد .

تابع إدريس ومولاه راشد طريقهما بنفس الأسلوب في التخفي والتمويه خوفاً من عيون العباسيين ، فقد عمد إدريس وراشد إلى التنكر حيث تخفى إدريس في زى خشن وظهر بمظهر الغلام الذي يخدم راشداً [1].

وقد أختلف المؤرخون في الطريق الذي سلكه الاثنان في الوصول إلى المغرب الأقصى ، فمنهم من يشير إلى دخولهما القيروان والإقامة فيها عدة أيام ثم اتجها إلى تلمسان واستراحا بها ثم دخلا بلاد السوس الأدنى حتى وصلا إلى طنجة[2] .

ويذكر البكري إلى عدم دخولهما إفريقية وأنهما صارا في طريق الجنوب باتجاه الغرب حتى انتهيا إلى طنجة[3]، وعلى الرغم من عدم وجود أدلة تؤكد إقامته أو مروره بإحدى مدن المغرب الأوسط قبل تلسمان فإننا نعتقد إن إدريس ورفيقه راشد قد سلكا طريق الجنوب كونه أكثر أماناً ولا يخضع لسلطة الخلافة العباسية كما أنه أكثر ملائمة من الناحية العملية للوصول إلى تلمسان.

بعد وصول إدريس ومولاه راشد إلى طنجة التي كانت قاعدة بلاد المغرب وكانت خارجه في ذلك الوقت عن سلطة العباسيين في بغداد ، وحال وصولهما أخذ الأثنان يدرسان أحوالها ، فوجدوها تعج بالعديد من ذوي الاتجاهات والميول المختلفة فشعروا بأنه لا يستطيعا تحقيق أهدافهما فلم يمكث فيها وقررا مغادرتها إلى منطقة وليلي حيث كانت تقيم قبيلة أوربة البربرية[4].

2 - وصول إدريس إلى وليلي :-

كانت وليلي مركزاً تجارياً ممتازاً وسوقاً عظيمة للقبائل البربرية ، وقد تميزت بخصوبة تربتها وكثرة مياهها وبغابات الزيتون التي تحيط بها وإلى جانب موقعها الجغرافي حيث تقع على طرف جبل زهوان ، كما كان يحيط بها سوراً عظيم من بناء الأوائل[1].

---

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 5 / 76
(4) الناصري: الاستقصاء 2 / 153
(1) سعد، زغلول : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة 2/ 427 – 428
(2) ابن زيدان، عبد الرحمن : اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس ، المطبعة الوطنية (الرباط ، 1933م) 3/2
(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 119
(4) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة ص67
(1) ابن أبى زرع ، على بن عبدالله : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه عبدالوهاب بنمنصور،المطبعة الملكية (الرباط 1999م) ص21

ويعتقد أن الذي أوحى إلى إدريس بالتوجه إلى وليلي هو مولاه راشد الأوروبي وهذا بالتالي يؤكد نسبه البربري الذي يعرف تلك المناطق وطبيعتها[2] .

وقد كانت منطقة وليلي موطناً لقبيلة أوربه البربرية التي تميزت بالشجاعة والقوة وهي تتزعم مجموعة من القبائل البربرية التي تمتد من الأطلس الأوسط حتى نهر سبو[3].

نزل إدريس ومولاه راشد عند زعيم قبيلة أوربه ويدعى إسحاق بن عبدالحميد الأوروبي[*] في أول شهر ربيع الأول سنة (172 هـ / 787 م) بعد رحلة طويلة وشاقة استغرقت ما يقرب من عامين[4] .

وجد إدريس في وليلي الأمن والآمان وتمتع بالإستقبال الحسن وضيافة وكرم زعيمها إسحاق بن عبد الحميد الأوروبي فأقام عنده ستة أشهر[5] ، وخلال إقامته عنده بانت صفات إدريس فقد كان حليماً كريماً حسن الطوية صادق النية متواضعاً بليغاً متفهما في الفقه الإسلامي فأزداد تعلق زعيم قبيلة أوربة بإدريس وعندما عرف عنه تلك الصفات عرفه بنفسه فأباح له إدريس بنسبه وقضيته وأحقيته في الإمامة [6].

3 - بيعة الإمام إدريـــس

اغتنم إسحاق الأوروبي فرصة وجود إدريس في قبيلته وتحت حمايته فبايعه وقد كان نزول أحد العلويين في دياره يعلي من شأنه بين القبائل البربرية، فلما حل شهر رمضان من نفس السنة جمع إخوته وزعماء قبيلة أوربة وعرفهم بنسب إدريس وفضله وقرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وبين لهم علمه وكمال دينه ، فرحبوا به وقالوا الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه فماذا تريد منا ؟

قال لهم تبايعوه : قالوا سمعاً وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد[1] .

إن اعتراف زعماء البربر بزعامة إدريس ومبايعته يدل دلالة واضحة على أن أسباب انسياقهم في السابق في دعوة الخوارج إنما كان لأسباب سياسية أكثر من كونها دينية فساندوه بتلك البيعة

بُيع إدريس بمدينة وليلي يوم الجمعة (14/رمضان/سنة 172 هـ /789 م) وقد نصت البيعة على السمع والطاعة والقيام بأمره والإقتداء به في الصلاة ومساندته في الغزو وسائر الأحكام[2].

---

(2) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب حتى سقوط غرناطة ص 108

(3) حسين ،مؤنس : معالم تاريخ المغرب ص 126

(*)اختلفت المصادر في اسم زعيم قبيلة اوربه، فذكر أن اسمه إسحاق بن محمد بن عبد الحميد،ابن عذارى:البيان المغرب 210/1، ويسميه ابن أبي زرع عبدالحميد الأوربي،ابن أبي زرع:الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 19،بينما يوصفه البكري بصفة أبي ليلي ،البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص133

(4) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 210

(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 22

(6) عبدا لواحد، ذنون : تاريخ المغرب ص 194

(1) ابن خلدون : كتاب العبر 147/6

(2) الكتاني ، الشريف أبى عبدالله محمد بن جعفر :سلوه الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تح عبد الله الكامل وآخرون ، دار الثقافة (الدار البيضاء ، 2004 م) 1 / 72

كانت قبيلة أوربة هي أولى القبائل التي بايعت الإمام إدريس ثم وفدت عليه وفود القبائل البربرية الأخرى مثل قبيلة زناته وسواقة ولمايه ولواته وسدراته ونفزه ومكناسه وغماره وكافة قبائل المغرب الأقصى[3].

بعد أن تلقى إدريس بيعة القبائل البربرية خطب فيهم خطبة مختصرة وضحت السياسة العامة التي رسمها وقد جاء فيها " بعد أن حمد الله وصلى على نبيه وآله قال يا أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه عندنا من الحق لا تجدوه عند غيرنا[4] .

بعد أن تحصل إدريس على المناصرة والتأييد من قبائل البربر في البيعة التي عقدت له أتخذ لقب إمام ولم يتلقب بلقب الخليفة لأنه أعتبر لقب الإمام أرفع منزله في الدين من غيره[1] .

إن الإمام إدريس قد أستند في تأسيس قواعد دولته على الزعامة الدينية والروحية التي أظهرت تعاطف البربر مع قضيته فلم يتخذ هو ومن جاء بعده لقب خليفة[2] ،وفي هذا يقول ابن خلدون" بأن الأدارسة بالمغرب كانوا يلقبون إدريس بالإمام وكذلك أبنه إدريس الأصغر[3]، فقد تجلى عطف القبائل البربرية على الإمام إدريس فهو عندهم حفيد الرسول صلي الله عليه وسلم المرتبط عندهم بالدين الإسلامي فاستقبلوه استقبالاً لائقاً وحظي عندهم بالتأييد والمناصرة ، فكان العامل الروحي من أهم الأسباب التي استند عليها لتأسيس دولته فازداد بهم قوة وعصبيه[4] .

4 – قيام الدولة وتوسيعها :

أصبحت وليلي مركزاً لدولة ناشئة بعد بيعة الإمام إدريس وزعامته على البربر فأخذ في تجنيد جيش من قبائل البربر وفي هذا يقول ابن ابي زرع " وأخذ جيشاً عظيماً من وجوه قبائل زناته وأوربة وصنهاجة وهواره وغيرها[5] ، وقد هدف الإمام إدريس من ذلك هو تجييش هذه القبائل لتكوين قوة عسكرية يتمكن من خلالها إخضاع بقية القبائل التي لم تعترف بسلطانه ومحاربة الحركات التي ظهرت في بلاد المغرب وكانت تدعو إلى الخروج عن قواعد الإسلام ، كما أن حركة التوسع فيها تثبيت للدولة وتجلب مصادر اقتصادية وتتحكم في مناطق إستراتيجية تقوي دعائم الدولة[6]، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون أن أول الأمراء الأدارسه وهو الإمام إدريس بن عبد الله قام بالزحف على البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل قبائل فندلاوه وبهلاوه ومديونه وفتح مدينة شاله وتادله فأسلموا على يديه طوعا وكرهاً[1] .

---

(3) الناصري: الاستقصاء 1 / 211
(4) ابن خلدون : كتاب العبر 4 /17
(1) الريس ، محمد ضياء الدين : النظريات السياسية في الإسلام ، دار التراث (القاهرة ، 1958 م) ص 112
(2) زيدان، جرجى : تاريخ التمدن الاسلامى ، راجعه وعلق عليه حسين ،مؤنس ، دار الهلال (القاهرة ، د ت) 218/4
(3) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 400
(4) بنعبد الله، عبد العزيز : معطيات الحضارة المغربية ،دار النشر المعرفة(الرباط ، 2000 م) 144/1،كذلك حسن محمود: قيام دولة الرابطين ص 69.
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 28
(6) سعد ،زغلول : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة ص 2 / 430
(1) ابن خلدون : كتاب العبر 4/ 13

كانت انطلاقة الإمام إدريس في حملته العسكرية الأولى هي بلاد تامسنا ذات الأهمية الاقتصادية والإستراتيجية فسيطر على مدينة شاله وسائر حصونها فتحقق له السيطرة على منطقة غنية بإنتاجها الزراعي والحيواني ومن جهة أخرى سيطر على الطريق التجاري الهام الذي كان يربط تارودانت نحو مناجم الذهب ببلاد السودان الغربي[2].

ثم أتجه بقواته إلى بلاد تادلا ففتح حصونها ومعاقلها وبلغ ماسه وقد كان أكثر سكانها يدونون بالنصرانية والمجوسية فنشر الإسلام بينهم وبعد هذه الحملة الخاطفة رجع الإمام إدريس بقواته إلى قاعدته في وليلي في أواخر شهر ذو الحجة من سنة(172 هـ / 781 م) [3]،قام بعدها بإتاحة الفرصة لقواته لأخذ نصيب من الراحة وتنظيم حملة ثانية توجهت إلى المناطق الجبلية المنيعة التي تحصنت فيها بعض القبائل مثل فندلوله ومديونه وبهلوله وقلاع غياثه وبلاد فازازا ، فاستطاع ضمها إلى دولته وبسط نفوذه على معظم مناطق المغرب الأقصى ، ثم قفل عائداً للمرة الثانية إلى وليلي في منتصف شهر جماد الآخرة سنة (183 هـ / 789م) فأقام بها شهر[4] .

أخذ الإمام إدريس بعد أن استقامت له الأمور في التطلع لبسط سيادته على المغرب الأوسط ، وفي أوائل سنة (173 هـ / 789 م) توجه بقواته قاصداً ناحية تلمسان وهي بمثابة مفتاح المغرب الأوسط [5]، وما أن وصلت طلائع قواته مشارفها حتى خرج إليه أميرها (محمد بن خزر بن صولات ، المغراوي)[6] ، الذي طلب من الإمام إدريس الأمان والصلح ورغبته في

انضمام إلى بيعة الإمام إدريس وقبل بيعته ودخل مدينة تلمسان فأمن أهلها ثم أمن سائر قبائل زناته وأمر ببناء مسجد نقش فيه على منبره (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه) وفي شهر صفر سنة(174 هـ/ 790م) بعد أن نظم أمور المدينة وعين عليها محمد بن خزر[1]،عاد بقواته إلى وليلي في شهر صفر (174 هـ / 790 م) وأستقر فيها.

لقد كانت حملة الإمام إدريس على تلمسان آخر الحملات العسكرية في حركة التوسع وبسط النفوذ والسيطرة واستطاع من خلالها ضم مناطق المغرب الأقصى وبعض المناطق في المغرب الأوسط ، وعلى الرغم من أن معظم المناطق التي سيطر عليها كانت قد أسلمت من قبل على يد الفاتحين الأوائل[2] ،إلا أنها ظهرت فيها العديد من المذاهب الخارجية والمعتقدات الباطلة التي تنافي

---

(2) عبد الحميد ،حسن : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية ص 360
(3) الناصري : الاستقصاء 1 / 212
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 24
(5) الناصري : الاستقصاء 1 / 212

(1) التازي ،عبد الهادي : التاريخ الدبلوماسي منذ أقدم العصور مطبعة فضالة (الدار البيضاء ، 1987 م) ص 15
(2) إسماعيل، محمود: الأدارسة (172هـ - 375هـ) حقائق جديدة ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1991 م) ص62 . 63

تعاليم الدين الإسلامي[3]، إلى جانب ذلك أدت هذه الحملات إلى إسلام العديد من سكان المناطق المفتوحة الذين كانوا على الديانة المسيحية ، كما أن هذه الحملات أدت إلى توحيد بلاد المغرب الأقصى تحت رايته فسار فيهم الإمام إدريس بالعدل والمساواة وطبق الشريعة الإسلامية فألغى الضرائب وأمن الناس على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم فشعروا لأول مرة منذ الفتح الإسلامي بكرامتهم وإنسانيتهم في ظل إمام عادل من أهل البيت فالتفوا حوله وناصروه [4].

5- وفاة الإمام إدريـــس الأول:

وصلت أنباء الانتصارات التي حققها الإمام إدريس في المغرب الأقصى وخضوع القبائل البربرية لسلطته وإستيلائه على تلمسان إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد[*] (170هـ-193هـ/786 – 809 م) فأنزعج وأشتد خوفه وقلقه[1]، من تنامي نفوذ الإمام إدريس فبدأ بتدارك الأمر مع وزيره يحيى بن خالد البرمكي[*]، في مشاورات لإيجاد وسيلة للتخلص من الإمام إدريس ودولته الناشئة التي باتت تهدد حدود الدولة العباسية من جهة الغرب[2].

ولما كان من الصعب عملياً أن تصل الخلافة العباسية جيشاً إلى تخوم المغرب الأقصى لبعد المسافة التي تفصل بين المشرق والمغرب ، فكان رأي الوزير يحيى البرمكي هو استخدام خطة تقوم على المكيدة والحيلة وهي إرسال رجل يتصف بصفات خاصة يصل إليه فيغتاله دون عناء فأعجب هارون الرشيد برأي الوزير وطلب منه إرسال من يراه يتناسب مع هذه المهمة الشاقة لقاء مكافأة تتناسب والعمل الذي سيقوم به[3] ، فوقع اختيار يحيى البرمكي على رجل من حاشيته يدعى سليمان بن جرير الشماخ[4]، ويذكر البكري "بأن أسمه سليمان بن جرير الجزري وهو من قبيلة ربيعة وكان من مذهب الزيدية[*]، ويوصفه بأنه كان حلواً شجاع أحد شياطين الأنس[5] .

عرض يحيى البرمكي على سليمان الشماخ وأغراه بالوعود ، والمنزلة الرفيعة ، ومكافئات مالية وتحف ظريفة حتى قبل سليمان عرضه[6]،فجهزه بما يحتاج إليه ووجه معه رجل يثق به ليعينه في

---

(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 122
(4) سعدون ،نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 76
(*) هارون ،الرشيد : هو هارون بن محمد الهادي خامس خلفاء الدولة العباسية ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه سنة (170هـ / 786 م) وكانت خلافته ثلاث وعشرون سنة توفى سنة (193هـ/809 م) = أبو الفداء ،إسماعيل: البداية والنهاية، تح أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية (بيروت ،1986 م) 10/164-230
(1) الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ص493
(*) ينسب يحيى البرمكي إلي أسرة البرامكة وهي من أل برمك أسرة فارسية الأصل صعد نجمها بفضل نشاط خالد البرمكي و ابنه يحيى وبلغت من القوة إلي حد الاستبداد بالحكم في عهد الرشيد، قد اشتهر من أبناءها يحيي و ابنه جعفر و الفضل=ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق : الفهرست ، تح رضا حداد (بيروت ، 1978 م) ص 96
(2) محمد، الطالبى : الدولة الأغلبية ص 403
(3)ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبدالله : تاريخ المغرب في العصر الوسيط الجزء الثاني من كتاب إعمال الأعلام ، تح احمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، 1964م) ص 193
(4) الناصري : الاستقصاء 1 / 158
(*) وصفه البغدادي بان له فرقة سميت بالسليمانية أو الجريرية نسبة إليه : البغدادي ، عبدا لقادر طاهر بن محمد : الفرق بين الفرق، تح محمد محي الدين، المكتبة العصرية (بيروت ،1995م) ص 23- 24
(5) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 130
(6) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 19
(7) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 130

طريقه ، كما زوده بكتاب من الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى والي إفريقية محمد بن مقاتل العكي لمساعدته وتسهيل مهمته في الوصول إلي المغرب الأقصى[7] .

وصل سليمان الشماخ إلي حيث كان يقيم إدريس وكان قد أنتحل صفة الطب[1]، فرحب به الإمام إدريس وسأله عن أسمه ونسبه وموطنه وسبب قدومه إلي المغرب فرد عليه رد مكر ودهاء بأنه من موالي أبيه عبد الله بن الحسن وإنه قد جاء إليه لخدمته ومحبته لأهل البيت فرحب به الإمام إدريس وأتخذه نديماً بعد أن أظهر البراعة في الحديث والجدال[2] ، أستمر سليمان في دوره يتربص بالإمام إدريس ويتحين الفرص بالإنفراد به لينفذ خطته للتخلص من الإمام إدريس .

كان راشد الأوروبي مولى الإمام إدريس لا يفارقه في مجلسه إلا أنه ذات يوم إنشغل ببعض أموره خارج وليلي فأستغل سليمان غيابه وأنفرد بالإمام إدريس وتحدث معه وأخرج له قارورة طيب مسمومة[*]، وقدمها له قائلاً أنه جاء بها من المشرق وأنه لما رأى أن في هذه البلاد ليس بها طيب رأى أن الإمام إدريس أولى به منه وأعطاه القارورة فشكره على ذلك وأخذ القارورة ففتحها وشمها فوقع مغشياً عليه[3].

وتتفق معظم المصادر أن اغتيال الإمام إدريس قد تم عن طريق السم غير أنها تختلف في طريقة وضعه فمنهم من يقول أنه قد سم عن طريق سنوان مسموم وهو يستخدم لعلاج الأسنان ، وقد كان الإمام إدريس يشتكي من ألم في أسنانه فوصف له سليمان الشماخ دواء وجعل فيه سم أستن به الإمام إدريس فمات[4] ، وأن اختلفت الطريقة التي وضع بها السم إلا أنها كانت الطريقة التي مات بها الإمام إدريس وبعد أن تم له تسلل خارجاً وركب فرساً وأنطلق به بإتجاه الشرق يطلب النجاة[5].

وصل خبر موت الإمام إدريس إلى مولاه راشد فأقبل مسرعاً إليه يريد إسعافه ولكنه وجده في الرمق الأخير وبقا في غشيته إلى المساء حيث لفظ آخر أنفاسه[*]،في أخر ربيع الأول (177 هـ/793 م)[1] .افتقد راشد سليمان الشماخ فلم يراه بين الحاضرين فأيقن أنه من كان وراء موت الإمام إدريس خصوصاً بعد طلبه فوصل إليه الخبر بأنه شوهد خارج مدينة وليلى فخرج مع مجموعة من رجال البربر للحاق بهم وقد أستمر في طلبه طوال الليل ولكن لم يتمكنوا من اللحاق

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ص 83/2
(2) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 27
(*) اتفقت معظم المصادر إن الإمام إدريس قد اغتيل بالسم لكنها تختلف في طريق وضعه
(3 ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 193
(4) ابن الفقيه ، أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني : كتاب البلدان ، مطابع ابريل (ليدن ، د ت) ص 81- 82
(5) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص194.
(*) اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي اغتيل فيها الأمام إدريس ، فكل من : البكري ، وابن عذارى ، وابن خلدون ولسان الدين الخطيب : ذكروا إن وفاته كانت (175 هـ / 791م) وهذا التاريخ لايستقيم مع مجريات الإحداث أما ابن أبى زرع فانه يذكر وفاة الإمام (177 هـ / 793م) وهذا التاريخ أرجح أولا إن ابن أبى زرع من المؤرخين المغاربة الذين اعتنوا بتاريخ الأدارسة ثانياً إن التاريخ الذي ذكره منسجم مع مجريات الأحداث
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص28

به إلا راشد وحده أدركه وهو يعبر نهر ملوية[2]، فصاح به وحمل عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجه في رأسه ثلاث شجات وجرحه في جسده ومع كل ذلك لم يصيبه بمقتل وكبى جواد راشد من شدة العياء ولم يستطع اللحاق به وبذلك استطاع سليمان الشماخ الفرار وهو مثقل بالجراح حتى وصل إلى العراق ، وقد بقت آثار الجراح بادئة على جسمه[3]،

وقد كانت مكافأة هارون الرشيد له على مهمته بأن ولاه بريد مصر[4].

أما راشد فقد رجع إلى وليلى وأخذ في تجهيز الإمام إدريس ودفنه في مدينة وليلي بعد أن دام حكمه 5 سنوات (172 هـ / 778 م) إلى(177 هـ/ 793 م)[5] .

ثالثـاً : المرحلة الإنتقالية :

توفى الإمام إدريس دون أن يترك وريث يقوم بمهام الدولة التي كانت ناشئة في بدايتها فكادت تسقط بموت مؤسسها إلا أن راشد الأوروبي بحنكته وتفانيه وإخلاصه لحب سيده جعله يحاول إنقاذ هذه الدولة فما إن انتهى من دفن سيده حتى جمع شيوخ القبائل البربر وزعمائهم وعرض الأمر عليهم لإختيار من يقوم بمهام الدولة وينظم أمورها[6].

عرض راشد أمر اغتيال الإمام إدريس وبيّن لهم إن الأمر يستهدف دولتهم وإنه قد تم بتدبير من سلطة الخلافة العباسية وأن القصد من ذلك هو القضاء على دولتهم ثم وعظهم وترك لهم حرية الاختيار في من يقوم بأمرهم وقال لهم:" إن الإمام إدريس لم يترك ولد ذكر إلا حملاً من جاريته كنزه وهي في الشهر السابع من حملها وقال لهم: إن رأيتم أن تصبروا حتى تضع حملها فإن كان ذكر ربيناه فإذا بلغ الرشد بايعناه وإن كانت جارية نذرتم لأنفسكم من ترونه لذلك، فقالوا له أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي إلا ما رأيت فإنك عندنا عوض من إدريس تقوم بأمرنا كما كان مولانا إدريس فتصلي بنا وتحكم بيننا بالكتاب والسنة ونصبر حتى تضع الجارية ويكون ما أشرت به فان وضعت جارية كنت أحق الناس بهذا الأمر لفضلك ودينك وعلمك[1].

1 - نسب كنزة زوجة الإمام إدريس الأول :

تختلف المصادر التاريخية في الوضع الاجتماعي لأصل كنزه[*] ،زوجة الإمام إدريس فمنهم من يرى أنها أماً وجارية ومحضية وأصلها من البربر واسمها كنزة [2]، ومنهم من يرى أنها ابنة زعيم

---

(2) الناصري: الاستقصاء 1 / 159
(3) إسماعيل، العربي: دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ص 28
(4) ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 82
(5) الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ص 491
(6) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في بلاد المغرب ص 129
(1) الإدريسي ، محمد بن علي السنوسي : الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية ، دار القلم (بيروت ، 1986م) ص 80
(*) أوردت المصادر التاريخية أسماء متعددة لها فقد ذكرها القيرواني باسم كثيرة ، القيرواني : تاريخ افريقية والمغرب ص 216 وذكرت إن اسمها كنزة وهي من البربر = ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص 89 ، غير إن حسن الوزان انفرد بذكر رواية غريبة فذكر أنها قوطية الأصل تم اعتنقت الإسلام فتزوجها الإمام إدريس، الحسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليو الأفريقي : وصف إفريقيه ، ترجمة محمد صبي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1983 م) ص 225
(2) الناصري: الاستقصاء 1 / 216

قبيلة أوربة تزوجها عند وصوله إلى وليلي وحدد صداقها بستمائة دينار وحدد تاريخ زواجها بسنة(174 هـ / 790 م)[3] .

على أنه بعد عرض تلك الآراء يمكن استنتاج أن كنزه هي زوجة الإمام إدريس الأول وأنها على الأرجح من قبيلة أوربه وإن الإمام إدريس قد تزوجها زواجاً شرعياً وقد وصفت بالحسن والحياء وكمال العقل والدين[4] . كما أن الرأي الثاني ضعيف لكون إسحاق الأوروبي لم يضطلع بأي دور بعد موت الإمام إدريس ولم يظهر في سياق الأحداث بل كان من الخارجين عن طاعة الدولة في المرحلة الثانية كما سيظهر في سياق الأحداث .

2 – الوصاية علي إدريس الثاني :

قام راشد بأمر البربر يؤمهم في الصلاة ويجلس إليهم ويفصل بينهم في مجالسهم واستطاع أن يقوم بمهام الدولة في تلك المرحلة الصعبة فحافظ على وجودها وصان وحدتها فلم تتعرض للفتنة أو الاضطرابات طيلة فترة وصايته[1].

وما أن وضعت كنزة مولودها في يوم الاثنين (3 رجب177 هـ/793م) حتى أظهر راشد السرور والفرحة فأخرجه إلى وجهاء البربر ليشاهدوه فأبشروا به وتيمناً بإسم والده سماه راشد إدريس بن إدريس[2].

تعهد راشد بأمر المولود فكفله حتى فطن وشب فأدبه وحرص على تعليمه القرآن فحفظه وعمره ثمان أعوام وعلمه علم الحديث والسنة والفقه إلى جانب علوم النحو وسير الملوك وحكم العرب وأمثالهم وقول الشعر ، كما حرص على تعليمه فنون القتال من رماية ومبارزة وركوب للخيل وفنون للحرب ليكون قادراً على المهمة التي سيوكل لها وهي قيادة الدولة [3].

ولما بلغ إدريس الثاني الحادي عشر من عمره عزم راشد على أخذ البيعة[*] له من قبائل البربر، وصلت أخبار ذلك إلى إبراهيم بن الأغلب في إفريقية الذي عزم على التخلص من راشد بكافة الوسائل فهو سر بقاء الدولة وقوتها فاستطاع تدبير مؤامرة استمال خلالها بعض خدم راشد بالأموال فاغتالوا راشداً بالسم في سنة (188 هـ / 803 م) وأرسل خبره إلى الخليفة العباسي

---

(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص29
(4) الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1 / 72
(1) سعدون، نصر الله : دولة الأدارسة ص 91
(2) الناصري : الاستقصاء 216/1
(3) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص196
(*) حددت بعض المصادر التاريخية تاريخ البيعة واختلفت في ذكرها فقد حددها الجزنائي في سنة (180 هـ) ، الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 16 ، وحددها البكري في سنة (187 هـ) ، البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 122 ، ويورد سعد زغلول إن الأمام إدريس الثاني بويع أكثر من مرة ، سعد زغلول عبدا لحميد : تاريخ المغرب العربي من الفتح حتى قيام دولة الاغالبة 2/ 441

ليكذب ادعاء محمد بن مقاتل العكي آخر ولاة المغرب الذي نسب مقتل راشد لنفسه فيقول إبراهيم بن الأغلب في قتل راشد[4] .

أم ترني بالكيد أرديت راشـداً وأني بأخرى لابن ادريس راصدا
تناوله عزمي على بعـد داره بمحتومة قد هيأتها المكايـــد
فتاه أخو عك بمقتل راشـــد وقد كنت فيه شاهد وهو راقـد

3 - بيعة الإمام إدريس الثاني :

لقد كان دافع إبراهيم بن الأغلب في قتل راشد الأوروبي[*] ،هو القضاء على كيان دولة الأدارسة ، إلا أن هذه الحادثة لم تنجم عنها أي اضطرابات أو فوضى[1]، إذ سرعان ما تولى أبو خالد يزيد بن اليأس العبدي كفالة إدريس الثاني فقد رأى أبو خالد الأوربي أن يعقد لإدريس البيعة ويوليه مقاليد الحكم فوجه دعوه إلى زعماء البربر وشيوخهم الذين لبوا هذه الدعوى وعقدوا اجتماعاً في جامع وليلى يوم الجمعة (7 ربيع الأول 188 هـ / 844 م) وقد انتهى هذا الاجتماع بمبايعة الإمام إدريس الثاني بعد مقتل راشد الأوروبي بعشرين يوماً وعمره أحدى عشر سنة وخمسة أشهر[2] ،وقد صور ابن خلدون تعلق البربر بحب آل إدريس من خلال بيعتهم إلى إدريس الثاني فقال بايعوه حملاً ثم رضيعاً ثم فصيلاً إلى أن شب[3].

بعد أن تلقى الإمام إدريس الثاني بيعة القبائل صعد إلى المنبر وألقى خطبة بيّن فيها سياسته فقال : الحمد لله أحمده وأستعين به وأستغفره وأعوذه به من شر نفسي وكل ذي شر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وصلى الله على سيدنا محمد وآل بيته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً،أيها الناس إنا قد ولينا هذا الأمر الذي يضعف المحسن فيه الأجر وللمسئ الوزر ونحن والحمد لله على طريق قسط فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تطلبوه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا ثم دعا الناس الى بيعته وحظهم على التمسك بطاعة الله وطاعته، فعجب الناس من فصاحته وبيانه ورصانه عقله وبلغته ، ثم نزل فسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زناته وأوربه وصنهاجة وغماره وسائر البربر[1] .

أخذ الإمام إدريس الثاني في استماله البربر ببذل الأموال على رؤساء وشيوخ قبائلهم وقد أستمر طيلة عام (188 هـ / 804 م) بإستقبال الوفود المؤيدة والمبايعة له حتى سمي ذلك العام بعام

---

(4) الناصري : الاستقصاء 161/1
(*) رأي إبراهيم بن الأغلب انه لاسبيل للقضاء على دولة الأدارسة إلا بقتل راشد الذي كان قائما بأمور الدولة ويرعي إدريس الأصغر وفي هذا يقول ابن خلدون (تم صرفه همه أي ابن الأغلب إلى بلاد المغرب وقد ظهرت فيهم دعوة الإمام إدريس واستفحل أمره براشد فلم يزل إبراهيم يدس إلى البربر الأموال حتى قتل راشد وسيقا رأسه إليه) . ابن خلدون : كتاب العبر 198/4
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص133
(2) الناصري : الاستقصاء 161/1
(3) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 13
(1) الجزنائي ،علي : جنى زهرة الأس في بنا مدينة فاس ، تح عبدالوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية (الرباط ، 2008م) ص 17

الوفود[2] ، بني إدريس سياسة حكمه على العدل وإقامة الحق بين سكان دولته فكثر أتباعه وقوي سلطانه فانتشرت أخباره خارج دولته[3].

إن صمود هذه الدولة الفتية للمكائد والمؤامرات التي أحيكت ضدها ، وما أشيع عن الإمام إدريس الثاني من العدل والأمان قد أكسبها سمعة طيبة في جهات متعددة فأتجهت إليه الأنظار وقصدتها الوفود المهاجرة من الأندلس وإفريقية وفي هذا يذكر ابن أبي زرع في روض القرطاس (إن الإمام إدريس الثاني قد أستقبل في عام (189 هـ/ 804 م) خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم فرحب بهم وأكرمهم ورفع منزلتهم وقد ترتب عن ذلك دخول عناصر عربية في محيط الإمام إدريس الثاني فجعلهم بطانته دون البربر حيث كان وحيداً بين البربر وكان طبيعياً بعد ازدياد عدد المحيطين به أن يفكر في الانتقال إلى مكان يسع أتباعه وأسرهم[4].

4- تنظيم الدولة في زمن إدريس الثاني :

وجد الإمام إدريس الثاني في الوفود العربية القاعدة التي سيبني عليها جهاز الدولة خصوصاً وإن هؤلاء الوافدين ينتمون إلى قبائل عربية ولهم خبرة بالنظم الإسلامية وتقاليدها ، فاستحدث نظام الوزارة لأول مرة في دولته وقد أختار لهذا المنصب عمير بن مصعب الأزدي الملقب بالملجوم وقد لعب هذا الوزير دوراً كبيراً في قيادة الدولة وساهم في بناء مدينة فأس وقد كان الإمام إدريس الثاني يثق به فزوجه ابنته عاتكة[1].

شجعت سياسة الإمام إدريس الثاني في تقريب الوافدين العرب إليه دون البربر فمنعتهم من التمرد والتآمر عليه[2]، وتذكر بعض المصادر إن شخصيات بارزة من قبائل البربر كان منهم بهلول بن عبد الواحد[*] ، الذي كان مقرباً من الإمام إدريس قد تأمر عليه فأعلن طاعته إلى ابن الأغلب ، كذلك أتتضح للإمام إدريس ميل إسحاق الأوربي إلى التأمر عليه فقتله سنة (192 هـ / 808 م)[3] ، وقد نجح الإمام إدريس الثاني في إقامة حكومة مركزية قوية اشتراك فيها العرب والبربر حيث استطاعوا بفضل هذه الجهود بسط نفوذهم وسيطرتهم علي أغلب مناطق المغرب الأقصى[4] ، أقام الإمام إدريس الثاني في عاصمته الجديدة فاس حتى سنة (197 هـ/813 م) فبدأ بالتحرك بجيشه لتأكيد سلطانه وتدعيم نفوذه السياسي على القبائل البربرية وتجاوز المناطق التي

---

(2) سعدون، نصر الله : دولة الأدارسة في المغرب ص 97
(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص35
(4) المصدر نفسه ص35
(1) ابن الأحمر، إسماعيل : بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط ، 1972 م) ص 13- 14
(2) محمود، إسماعيل : الأدارسة حقائق جديدة ص 76 – 77
(*) هو بهلول بن عبدالواحد المذغري كان رئيسا في قومه ومن المقربين للإمام إدريس الثاني تم تغير عليه وأعلن طاعته لإبراهيم بن الأغلب في إفريقيه -ابن الآبار : الحلة السيراء 1 /111
(3) ابن الأثير : الكامل 104/5 ، كذلك سالم ، السيد عبد ا لعزيز: المغرب الكبير 476/2 .
(4) حسن، احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص70.

كانت خاضعة لوالده فقد كانت حملته الأولى استهدفت بلاد المصامدة واستولى على نفيس(*)، وأغمات من مناطق السوس الأقصى(5) .

وبعد نجاح هذه الحملة عاد إلى عاصمته فاس وأقام بها حتى سنة (199/هـ/815م) وخرج في حملة أخرى باتجاه الشرق تمكن خلالها من إخماد دعوى الخوارج وتوسيع حدود الدولة حتى وادي شلف بالمغرب الأوسط ودخل تلمسان التي أقام بها ثلاث سنوات لتأكيد طاعة أهلها

وإصلاح أحوالهم وعين عليها ابن عمه محمد بن سلمان ثم عاد إلى عاصمته فاس فاستقر بها إلى أن مات فجأة في أول شهر ربيع الأول (سنة 213 هـ / 828 م) وعمره ستة وثلاثون سنة(1)، وقد ذكر ابن أبي زرع أن سبب وفاته(*) انه أكل عنباً فشرق بحبه منه فمات من حينه(2) .

رابعا : خلفاء الإمام إدريس الثانـــي

1- الإمام محمد بن إدريس الثاني (213 - 221 هـ / 828 - 836 م):

ترك الإمام إدريس الثاني اثني عشر(*)ولد ذكر وهم محمد ، عبد الله ، عيسى، إدريس ، أحمد ، جعفر ، يحيى ، القاسم ، عمر ، علي ، داود ، حمزة ، وابنته الوحيدة هي عاتكة ، تولى الإمام محمد الإمامة كونه أكبر إخوته سناً يضاف إلى ذلك أن والده عهد إليه بالحكم قبل وفاته وقد كانت أمه من أشراف قبيلة نفزة البربرية(3).

وكانت الدولة مترامية الأطراف تتبع الإمام محمد سياسة جديدة تكمن في تقسيم الدولة إلى ولايات يسند حكمها إلى أخوته وتذكر لنا المصادر التاريخية أن هذا التوزيع جاء بناء على توجيه من جدته كنزة(4).

لقد كانت سياسة التنظيم الإداري التي انتهجها الإمام محمد بن إدريس الثاني تهدف لإحكام السيطرة على مناطق وولايات الدولة ووضع حد للعناصر التي تفكر في التمرد أو الخروج عن سلطة الدولة ونظراً لاتساع رقعة الدولة فإن التقسيم(*) ،على إخوته كان على النحو التالي :-

---

(*) تعرف بالبلد النفيس وهي كثيرة الأنهار والثمار وهي مدينة آهلة بالسكان وبها مرافق وسوقا جامعاً= البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص160

(5) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 13

(1) الناصري: الاستقصاء 1 / 172

(*) اختلفت بعض المصادر في سبب وفاة الإمام إدريس الثاني فقد ذكرت بعض المصادر انه مات مسموما بحبة عنب- ابن عذاري : البيان المغرب 211/1 ، بينما يذكر ابن الأبار انه مات مسموما بحوت أكله = بن الأبار : الحلة السيراء 395/1

(2) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 61

(*) اختلفت بعض المصادر في ذكر أسمائهم فمنهم من زاد ومنهم من ذكر بعض الأسماء الإخري ، مثل الجزنائي =الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 28 ، انظر ملحق رقم (7) ص 132

(3) ابن عذارى : البيان المغرب 211/1 ، وكذلك ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ص 13

(4) ابن أبي زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 62

(*) اختلفت المصادر التاريخية في ذكر التقسيم انظر الجدول المرفق ص 134

أ - ولاية القاسم بن إدريس:

وضمت ولايته مدينة طنجة وسبتة وتطوان وقلعة حجر النسر وبلاد مصمودة وما يلحق بها من الأماكن والقبائل[1] .

ب - ولاية عمر بن إدريس

وقد شملت ولايته مدينة تيكاس وتدغة وبلاد غمارة وما بينها من قبائل صنهاجة[2] .

ج - ولاية داود بن إدريس :

وضمت ولايته بلاد هوارة وبلاد تسول وتازة ومكناسة وجبال غياثة[3] .

د - ولاية حمزة بن إدريس

وضمت ولايته مدينة وليلى والأودية المحيطة بها[4] .

هـ - ولاية عيسى بن إدريس

وشملت ولايته مدينة سلا وازمور وشالة وتامسنة وما والاها من القبائل[5].

و - ولاية احمد بن إدريس :

وضمت ولايته مكناسة وتادلة وما بينها إلى بلاد فزازة [6] .

ز - ولاية عبد الله بن إدريس :

وشملت ولايته مدينة اغماث وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس الأقصى ولمطة[7].

أما بقية أخوته فقد كانوا صغار فضلوا تحت كفالة جدتهم كنزة ، واحتفظ الإمام محمد بن إدريس الثاني بمدينة فاس حاضرة لدولته يسير أمورها من خلال أخوته الذين عهد إليهم بإدارة الأقاليم والتي تتبع إدارة فاس مباشرة ، وقد حقق هذا التقسيم في بداية الأمر سيطرة الأسرة الإدريسية على جميع القبائل والمناطق التي كانت خاضعة للدولة فاستقامت أمورها وهو ما عبر عنه ابن أبى زرع بقوله " فضبطوا ثغورهم ، وحكموا بلادهم وآمنوا سبلهم وحسنت سيرتهم"[1]. لكن هذا التقسيم أظهر خطراً داخلياً في الأسرة الإدريسية وهو الصراع من أجل السيطرة والإنفراد بالحكم والخروج عن السلطة المركزية المتمثلة في فاس .

---

(1) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 62
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 4 /26
(3) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 62
(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 134
(5) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 27
(6) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 64
(7) ابن خلدون : كتاب العبر 4/27 – 28
(1) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 65

فقد خرج عيسى بن إدريس الثاني[2] ،على الإمام محمد رغم السياسة الطيبة التي أتبعها الإمام محمد بن إدريس الثاني نحو أخوه فقد كان أخيه عيسى يحكم منطقة تامسنا وأزمور[*]، وطلب لنفسه الأمر وخرج عن طاعته فما كان من الإمام محمد إلا مواجهة التمرد بتوجيه الأمر لأخيه القاسم لقتاله وقمع تمرده كونه الأقرب إليه[3] ،إلا أن القاسم رفض أوامر الإمام محمد معتذراً له في رسالة حملت أسباب رفضه وأحجم عن تنفيذ أوامره[4] .

وأمام تقاعس واعتذار القاسم لأخيه الإمام محمد بن إدريس الثاني في فاس الذي لم يجد سوى توجيه الأمر لأخيه عمر صاحب تيكاس وغماره بمؤازرته وقمع التمرد وقتال أخيه عيسى[5] فأمتثل لأمره وجهز جيشاً من قبائل غمارة وأوربه وصنهاجة وأمده أخيه الإمام محمد بن ادريس من فاس بألف فارس من قبائل ازناته[6] ،فسار بهذا الجيش إلى ولاية أخيه عيسى فهزمه واستولى على من كان تحت ولايته وكتب إلى أخيه الإمام محمد يخبره بقمع التمرد والنصر على الخارجين فشكره على ذلك وكافأه بضم ولاية عيسى إلى ولايته[7] .

وأمره بإخضاع أخيه القاسم وقتاله كونه أمتنع عن تنفيذ أوامره فزحف إليه حيث التقى به بمدينة طنجه ، ودارت بين الجيشين معركة شديدة انتهت بهزيمة القاسم واستيلاء عمر على ولايته وبذلك أصبح عمر يحكم منطقة شاسعة امتدت من تيكاس على ساحل البحر المتوسط ومدينة سبته و طنجة وأصيلا وسلا وأزمور على ساحل المحيط الأطلسي[1]، وقد أخلص لأخيه الإمام محمد إلى أن توفى في منطقة فج الفرس ببلاد صنهاجة سنة (220 هـ/843 م) فحمل إلى فاس حيث دفن إلى جانب قبر أبيه[2] ،أما القاسم فتوجه بعد هزيمته إلى مدينة أصيلا فبني بها مسجداً بموضع يعرف بتاهدرت فلازمه زاهداً متعبداً إلى أن مات[3].

وبذلك استطاع الإمام محمد بن إدريس الثاني من قمع التمرد وإظهار قوة الدولة ومواجهة خطر التصدع الأسري لكنه لم يعش طويلاً حتى توفي بعد سبعة أشهر من وفاة أخيه عمر في ربيع الأخر سنة (221 هـ / 835 م) ودفن بفاس وقد دام حكمه ثمانية أعوام وشهر واحد[4] .

2 - الإمام علي بن محمد بن إدريس الثاني(221 هـ - 234 هـ / 836 - 848 م)

(2) إسماعيل عثمان : تاريخ شالة الإسلامية ، دار الثقافة (بيروت ، 1975 م) ص 153
(*) ومعناها باللغة البربرية الزيتون وهي مدينة تقع في بلاد المغرب الاقصي = الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص 5
(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 211
(4) ابن الأبار : الحلة السيراء 1 / 132 – 133
(5) أبن القاضي ، أبو العباس احمد بن محمد : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور(الرباط ، 1973م)1/ 204
(6) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 65
(7) الناصري : الاستقصاء 1/ 173
(1) ابن خلدون: كتاب العبر 14/4
(2) ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حلة من الإعلام مدينة فاس 1/ 204
(3) ابن الأبار: الحلة السيراء ص65 - 66
(4) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص67

كان الإمام محمد بن إدريس في أثناء مرضه قد أستخلف أبنه علي الملقب بحيدر(*) وكان عمره لا يتجاوز تسعة سنوات وأربعة أشهر ويرجع سبب استخلاف والده له لما عرف عنه من صفات الذكاء والنبل والفضل(5).

أمه حرة أسمها رقية بنت إسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي(6)، ولكونه صغير السن فقد قام بأمره الأولياء ورجال الدولة الذين كانوا مع أبيه من العرب والبربر فبايعوه غلاماً مترعرعاً وقاموا بأمره وأحسنوا كفالته وطاعته(7) ، تقتصر المصادر التاريخية على ذكر بعض أعماله وترصد صورة عامة للسياسة التي سار عليها والتي كانت امتداداً لسياسة والده من قبله(1)، فقد نظم دولته وضبط حدودها وحرص على إقامة الحق والعدل بين رعيته فشعر الناس في عهده بالأمان وقصده الناس للإقامة في فاس لما عرف عنه من الأمانة والعدل والعطف على الفقراء والمساكين وكانت من نتاج ذلك أن اتسع عمران فاس وسادها الأمن والرخاء(2) ، غير أن سنوات حكمه لم تدم طويلاً فوافته المنيه في شهر رجب سنة (234 هـ / 849 م) وكانت مدة حكمه نحو ثلاثة عشر سنة(3) .

3 - الإمام يحيى بن محمد بن إدريس الثاني (234 هـ- 249 / 849م- 836م) :

خلف الإمام يحيى أخيه الإمام علي وذلك بعهد منه وقد تميز عهده بالاستقرار والرخاء وقصده الناس من إفريقية والأندلس وبلاد المغرب فزاد عمران مدينة فاس وبني الناس الأرباض بخارجها لإسكان المهاجرين(4) ، وقد كان لازدياد حركة العمران في فاس ورخاء حركة التجارة فبنيت الحمامات والفنادق للتجار والزوار فنشطت الحركة الاقتصادية في فاس ونواحيها واستقرت أحوال الدولة وأنشئت بها مرافق ومؤسسات علمية(5) .

ونظراً لإتساع المدينة وكثرت سكانها فقد أنشئت المساجد الجامعة لتستوعب أعداد المصلين فقد بني في عهده جامع القرويين وقد كانت فترة حكم الإمام يحيى فترة استقرار وازدهار وقد استعان في إدارة شؤون الدولة بأقاربه إلى أن توفى في سنة (249 هـ/863 م) (6).

4 - الإمام يحيى بن الإمام يحيى :

(*) حيدرة هو لقب كان يلقب به الخليفة علي بن أبى طالب رضي الله عنه = الناصري : الاستقصاء 230/1
(5) الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1/ 90
(6) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص67
(7) الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1 /87
(1) المصدر نفسه : 1 / 88
(2) ابن الخطيب: تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص207
(3) ابن أبى زرع : الأنيس الطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ص 67
(4)الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 91/1
(5) المصدر نفسه : 91/1
(6) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 45

بعد وفاة الإمام يحيى تولى أبنه يحيى الحكم غير أنه أساء السيرة وخالف طريقة أبية وأجداده في الحكم والتعفف فعبث في الحرام فكان يدمن على الخمر والخلوة بالنساء فكانت تلك الصفات لها أثرها السيئ في دولته فسعى العمال إلى الاستقلال بأماراتهم وفي هذا يقول ابن عذارى (وتشاغل يحيى عمن كان يحق له من سياسة أمره فملك أخوته أنفسهم واستمالوا القبائل وقالوا إنما نحن من أب واحد فقد ترون ما سار إليه أخونا يحيى من إضاعة أمره[1] ،فقدهم البربر على أنفسهم تقديماً كلياً) وكان يحيى منهمك في الشراب معجباً بالنساء[2] ،وذكر عنه أنه دخل على جارية يهودية أسمها حنة وصفت بالجمال وكانت أجمل نساء عصرها وهي من الجالية اليهودية فراودها عن نفسها فاستغاثت بالناس فبادر الناس منكرين لفعلته وقد أثارت هذه الفضيحة أهل فاس فتغيروا عليه وثاروا عليه وقادهم في هذه الثورة رجل عربي يدعى عبد الرحمن بن سهل الجذامي[*] ، فلما رأت زوجته عاتكة بنت الإمام على أن العامة بادروا إليه ليقتلوه أمرته بالفرار من أمامهم ففر إلى عدوة القرويين فمات من ليلته غماً وحسرة على فعلته[3]،وبذلك انطوت صفحة حكمه التي لم تدم سوى ثلاثة سنوات بعد أن ترك دولته في حالة اضطراب وفوضى وقد استقلت الولايات عن حاضرة الأدارسة فاس وضعفت أمور الدولة[4].

استيلاء عبد الرحمن بن سهل الجذامي على فاس :

استطاع عبد الرحمن بن السهل الجذامي استغلال فراغ السلطة في فاس فتولى مقاليد حكم فاس وهذه الحادثة تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ دولة الأدارسة فوصول رجل غريب عن الأسرة الأدريسية إلى سدة الحكم يعني ضعف هيبتها ومركزها في بلاد المغرب[1] ، وقد هال هذا الأمر مشاعر زوجة الإمام يحيى فكتبت إلى أبيها علي بن عمر الذي كان أميراً على بلاد الريف والسواحل الشمالية فأخبرته بوفاة زوجها الإمام يحيى واستيلاء عبد الرحمن بن سهل على الحكم وطلبت منه القدوم إلى فاس لتولي أمورها وقد أيدها في هذا الطلب رجال الدولة من العرب والبربر والموالي[2].

استطاع الإمام علي بن عمر أن يجمع جيشاً من أنصاره وأعوانه وأتجه بهم إلى فاس فدخلها وتولى مقاليد حكمها فبايعه أهل فاس وخطب له في جميع منابر الدولة وبذلك انتقل مقاليد الحكم إلى بني عمهم عمر بن إدريس[3].

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب 134/1
(2) المصدر نفسه 1 / 211
(*) وهو من الجالية العربية التي استوطنت فاس وتدل هذه الحركة علي سيطرة العناصر العربية علي المدينة وانتشار نفوذها دخل الدولة .
(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 93 – 94
(4) ابن عذارى : البيان المغرب 212/1
(1) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في بلاد المغرب ص 155
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 30
(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص94

5 - الإمام علي بن عمر بن إدريس الثاني :

تولى الإمام علي حكم فاس واستقامت له بعد القضاء على ثورة عبد الرحمن بن سهل الذي فرّ منها بعد دخول الإمام علي إليها ، وقد كان الإمام علي يتصف بالدين والورع فقيهاً عارفاً بعلم الحديث[4] .

نظم الإمام علي شؤون فاس وأصلح من أحوالها فاستقرت فترة حكمه إلى أن قامت عليه ثورة مذهبية قادها عبد الرزاق الصفري الخارجي[*] ،الذي استطاع أن يجمع أعداداً من قبائل مديونية وغياسه ومكناسه وغيرهم فبايعوه وأتجه بهم إلى نواحي فاس فخرج إليه الأمام علي في جيش للتصدي لهم فقامت بينهم معارك كبيرة استطاع خلالها عبد الرزاق الصفري هزيمة جيش الإمام علي الذي فر بعد هزيمته إلى قبيلة اوربه للاحتماء بها وبذلك تمكن عبد الرزاق الصفري من دخول فاس وخطب له على منابر عدوة الأندلسيين بفاس ولكن حركته لم تستمر طويلاً[1].،إذ أن سكان عدوة القرويين امتنعوا عن مبايعته وبعثوا إلى الإمام يحيى بن القاسم المعروف بالمقدام لإنقاذ فاس والدولة الإدريسية من حكم عبدالرزاق الصفري[2].

6 - الإمام يحيى بن القاسم :

استطاع الأمام يحيى بن القاسم دخول فاس فألتفت حوله جموع السكان فبايعوه إماماً وصرف وقته في قتال عبد الرزاق الصفري حتى استطاع استئصال حركته وتمكن بعد وقائع عديدة من هزيمته وإخراجه من عدوه الأندلسيين فاستقامت الأمور للإمام يحيى حتى خرج عليه رجلاً يدعى ربيع بن سلمان فقتله سنة (292 هـ / 905 م) وقام بالأمر من بعده يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس الثاني[3].

7 - الإمام يحيى بن إدريس (292هـ / 905 م)

عندما قتل الإمام يحيى بن القاسم ولي مكانه حفيد عمه يحيى بن إدريس فبايعه أهل فاس في العدوتين وخطب له في سائر منابر الدولة وقد كان الإمام يحيى يتصف بصفات الفصاحة والشجاعة والصلاح والورع[4] ،لقد كانت تلك الصفات التي أتصف بها الإمام دور كبير في سيرة حكمه فبلغ مبلغاً عظيماً في الملك والسلطان لم يبلغ أحد من الأئمة الأدارسة مبلغه فكان مقصداً للعلماء والشعراء من بلاد الأندلس والبلاد الأخرى فيحسن استقبالهم فكثر في مجلسه العلماء إلى جانب ذلك

---

(4) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 16

(*) يري جورج مارسيه (أن هذه الحركة التي قادها عبدالرزاق كانت من تدبير بني مدرار في سجلماسه وهي كانت امتداد لحركة الصراع المذهبي في بلاد المغرب) ، مارسيه جورج : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، ترجمة محمود عبدالصمد ، منشاة المعارف (الإسكندرية ، 1999م) ص 145

(1) عبد الرازق ، محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، دار الثقافة (الدار البيضاء ، 1985 م) ص 138

(2) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في بلاد المغرب ص 209

(3) الناصري : الاستقصاء 1/ 29

(4) المصدر نفسه 29/1

أتخذ مجموعة من الوراقين لا شغل لهم إلا نسخ الكتب رغم أن المصادر التاريخية المتاحة لنا لم تسعفنا بأدلة على وجود تأليفات في عصره لفقدان معظمها[5] .

ساس الإمام يحيى أمور الدولة وأستقامت له أحوالها حتى ظهر الفاطميون[*] في إفريقية في أواخر القرن الثالث الهجري الذين أخذوا في بسط نفوذهم نحو بلاد المغرب ففي سنة (305 هـ/917م) بعث الفاطميون حملة نحو المغرب بقيادة مصالة بن حبوس المكناسي[*] فخرج إليه الإمام يحيى بجيشه للتصدي له إلا أنه هزم أمام جيش الفاطميين فعاد إلى فاس وتحصن بأسوارها فتعقبه القائد الفاطمي وضرب الحصار حول المدينة حتى أضطر الامام يحيى إلى طلب الصلح مقابل مالاً يؤديه وأن يبايع للخليفة الفاطمي وخلع نفسه من الإمامة وخطب لعبيد الله الفاطمي على منابر فاس وبقى يحيى عاملاً للفاطميين على فاس[1].

ثم عاد القائد الفاطمي إلي إفريقية بعد إن ترك موسى ابن أبي العافية سيطر على مناطق كبيرة من بلاد المغرب الأقصى ، ولما زحف القائد الفاطمي مصالة بن حبوس نحو المغرب الأقصى للمرة الثانية(309هـ/931م)وذلك لتأكيد السيادة الفاطمية على مناطق المغرب الأقصى[2].

وفي هذه الحملة استطاع موسى بن أبي العافية من إقناع مصالة بن حبوس من ضرورة التخلص من أمير الأدارسة الأمير يحيى و مصادرة ماله و ملكه[3] ، فلما اقترب من مدينة فاس عمل القائد الفاطمي علي استدراج الأمير يحيى للتخلص منه ، فلما خرج إليه الأمير يحي لاستقباله خارج أسوار مدينة فاس قبض عليه و كبله بالحديد مع وجوه قومه و قادة جنده و ادخله إلي المدينة في صورة مذلة وقام بتعذيبه حتى اخرج إليه أمواله و ذخائره و نفاه إلي مدينة أصيلا وبعد ذلك عين القائد القائد الفاطمي مصالة بن حبوس على مدينة فاس الوالي ريحان المكناسي ورجع بحملته نحو بلاد إفريقية ،بينما أقام الإمام المعزول عند بني عمه في أصيلة فأكرموه وقدموا له كل ما بوسعه نظراً لصلة الرحم التي تربطهم ببعضهم[1].

لم يرضى يحيى بما أصابه فخرج من أصيلة يريد الخروج إلى إفريقية غير أن موسى بن أبي العافية اعترض طريقه وسجنه في مدينة الكاي مدة عشرين سنة ثم أطلق سراحه فرحل إلى المهدية حيث مات بها جائعاً سنة(332 هـ / 914م) [2] .

---

(5) التليسى ، بشير رمضان : الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامى ، دار الغرب (طرابلس ، 2003 م)ص 358.

(*) أطلق علي الفاطميين أسماء عديدة منها الفاطميون نسبة إلي فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلي الله عليه وسلم وزوجة الإمام علي رضي الله عنه وأيضا العلويون نسبة إلي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،وأيضا الدولة العبيدية نسبة إلي عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين= هويدي مصطفي : الوزارة في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة الثامنة عشر ، العدد الثاني سنة (طرابلس ،1996م) ص 147 – 148 .

(*) مصالة بن حبوس المكناسي أمير بربري كانت له رئاسة قبيلة مكناسة البربرية وأصبح من قادة الدولة الفاطمية ولاه الخليفة الفاطمي المهدي مدينة تاهرت والمغرب الأقصى وفي سنة (305 هـ - 917 م) زحف نحو المغرب الأقصى واستولي علي فاس وسجلماسه . الزركلي ، خير الدين : الأعلام دارا لعلم للملايين (بيروت ، 1997م) 4 / 227

(1) ابن خلدون : كتاب العبر 216/4

(2) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب ، المرجع السابق ، ص 161

(3) ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 211 – 212

(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص97

(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 139

بقى ريحان المكناسي والياً على فاس مدة ثلاثة سنوات إلى أن قام عليه احد الأمراء الأدارسة وهو الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس الملقب بالحجام[3].

7 - الإمام الحسن بن محمد بن القاسم (310 - 313 هـ / 922 - 925 م) :

هو الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن عبد الله ويلقب بالحجام لتكرار طعنه في مجموعة من الفرسان في موضع المحاجم[4] ،ثار الأمير الحسن مع مجموعة من أنصاره ودخل مدينة فاس سنة (310 هـ/923م) فلما أنتشر خبره في المدينة أسرع سكان المدينة لاستقباله وبايعه أهلها ونفي ريحان المكناسي[5]، واستقام له الأمر وبسط سيطرته على عدة مدن مثل لواتة و صفرو و مديونة ومكناسة والبصرة مدة عامين إلى أن قامت بينه وبين موسى بن أبي العافية خلاف فخرج الإمام الحسن إلى قتال موسى بن العافية سنة (311 هـ / 923 م) وأشتبك معه في قتال شديد على مقربة من وادي المطاحن بين فاس وتازه ، فكانت معركة كبيرة أسفرت عن هزيمة موسى بن أبي العافية وقتل أكثر من ألفين من رجاله وكان من جملتهم أبنه منهل[6] ،غير أن موسى بن أبي العافية نجح في تنظيم قواته وطارد الإمام الحسن الذي عاد إلى فاس وعندما اقترب من أسوارها ترك قواته خارجها ودخل إلى المدينة بمفرده فغدر به عامله على المدينة حامد بن حمدان الهمداني[*] ، الذي أغلق أسوار المدينة في وجه قوات الإمام الحسن وقبض على الإمام الحسن وقيده وسجنه ثم أرسل إلى موسى بن أبي العافية ليدخل مدينة فاس[1] ،فلما ملكها طلب من حامد بن حمدان أن يمكنه من الإمام الحسن ليقتله بولده منهل غير أن حامد بن حمدان أخذ في طلب المماطلة إلى أن سهل للإمام فرصة الفرار فما كان من الإمام إلا أن قفز من أسوار المدينة فكسرت ساقه فتحامل على نفسه حتى وصل إلى عدوة الأندلسيين فمات بعد ثلاث ليال من الحادثة سنة(313هـ/926م)[2] .

سيطرة موسى بن أبي العافية على المغرب الأقصى :

استطاع موسى بن أبي العافية السيطرة على فاس ومناطق المغرب الأقصى منذ موت الإمام الحسن فبدأ في إجلاء بني إدريس عن مناطقهم ونفاهم إلى مدينة حجر النسر التي تحصنوا بها بقيادة كبيرهم الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم[3] .دعم موسى بن أبي العافية نفوذه في فاس ونظم البلاد تنظيماً إدارياً جديداً فعين على عدوة الأندلسيين طوال بن أبي يزيد وعين على المغرب الأقصى

---

(3) الناصري : الاستقصاء 166/1
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 98
(5) ابن خلدون : كتاب العبر 256/6
(6) الناصري : الاستقصاء 1 / 167
(*) يذكر ابن عذاري أن أهل عدوة القرويين هم الذين غدروا بالإمام الحسن وقدموا عليهم حامد بن حمدان الهمداني المعروف باللوزي الذي قبض على الإمام الحسن وأرسل إلى موسي بن أبي العافية ليدخل المدينة وطالب بقتل الحسن غيرا ن حامد بن حمدان كره المجاهرة بقتله وفاخرجة من سور المدينة حيث انكسرت رجله إلى إن وصل إلى عدوة الأندلسيين فمات بها = ابن عذارى : البيان المغرب 211/1
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص99
(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 127 ، كذلك ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 213
(3) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 134

ولده مدين وأستقر موسى بن أبى العافية في عدوة القرويين[4]،أتجه موسى بن أبي العافية إلى استكمال القضاء على نفوذ الأدارسة فكانت وجهته تلسمان التي كانت تحت حكم الحسن بن أبي العيش ابن عيسى فاستطاع أن يملكها سنة(319 هـ/ 931 م) بعد أن غادرها الحسن بن أبي العيش إلى مدينة اماليله فتحصن بها وزحف إليه موسى بن أبي العافية فحاصره إلى أن عقد معه صلحاً وأبقاه في حصنه ثم عاد موسى إلى فاس بعد أن سيطر على معظم مناطق الأدارسة الذين تقلص نفوذهم عن اغلب المناطق التي كانت تحت سيطرتهم[5] .

التنافس على النفوذ في المغرب الأقصى بين الفاطميين في إفريقية والخلافة الأموية في الأندلس :-

سكت الفاطميون عن تصرفات قائدهم موسى بن أبي العافية تجاه الأدارسة في الوقت الذي كانت فيه أنظار الأمويين في الأندلس تتبع الأحداث باهتمام شديد نظراً لأهمية هذه المنطقة من الناحية السياسية والإستراتيجية خصوصاً بعد إعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة الأموية في سنة(316هـ/982م)[1]،وجه الخليفة عبد الرحمن الناصر(350-300هـ/912-9161م)[*]، بقرطبة أنظاره إلى المغرب وذلك لمواجهة الزحف الفاطمي فاستطاع إقامة روابط وتحالف مع بعض القبائل البربية مثل قبيلة زناته وزعيم قبيلة مغراوه محمد بن الخزر الذي دخل في طاعة الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر[2]،أدرك الفاطميون خطورة الموقف فتغلغل النفوذ الأموي بين القبائل البربرية خصوصاً قبيلة زناته يعني خروج أجزاء كبيرة من المغرب الأقصى من نفوذ الفاطميين لذلك أمر الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي قائده مصاله بن حبوس بمحاربة الزناتيين فخرج إليهم سنة(312هـ/924م)حيث أصطدم بهم في معركة انتهت بمقتل مصالة بن حبوس وانهزام جيشه وسيطر محمد بن الخزر حليف الأمويين على إقليم الزاب فشعر موسى بن أبي العافية بخطورة الموقف فنفض طاعة الفاطميين ودخل في طاعة الخليفة الناصر سنة(317هـ/929م)،وفي هذا يقول ابن خلدون(تم انتفض موسي بن أبي العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة وانحرف إلى الأمويين من وراء البحر وبث دعوتهم في أقطار المغرب)[3]،لم يكتف عبد الرحمن الناصر عند هذا الحد بل تعداه إلى احتلال بعض الثغور المغربية ، المواجهة للشاطئ الأندلسي الجنوبي فأحتل مدينة سبتة[*] سنة(319 هـ / 931 م) التي كانت تحت نفوذ

---

(4) المصدر نفسه 6 / 135
(5) سعدون، نصر الله : دولة الأدارسة في المغرب ص 168
(1) احمد، العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ص 206
(*) هو عبد الرحمن، بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن هشام بن عبدالرحمن (الداخل) بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الأموي . ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد : جمهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1983م) ص 101
(2) فيلالي، عبد العزيز : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، دار الفجر للنشر (القاهرة ، 1999م) ص 139-140
(3) ابن خلدون : كتاب العبر 39/4
(*) يذكر ابن حيان في كتابة المقتبس إن احتلال مدينة سبته جاء نتيجة لرغبة أهلها في طاعة الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر = ابن حيان مروان حيان بن خلف : المقتبس في إخبار بلد الاندلس ، تح عبد الرحمن الحجي (بيروت 1965 م) ص 115

الأدارسة[1]،كانت هذه التطورات خطيرة بالنسبة للفاطميين فعلى ووجه السرعة رد الخليفة الفاطمي بتجهيز حملة جديدة قادها حميد[*]بن يصل المكناسي سنة(320هـ /932م) فألحقت الهزيمة بقوات موسى بن أبي العافية حليف الأمويين في منطقة فحص نسوان فلجأ موسى بن أبي العافية إلى بلاد تسول[*] ،وتحصن في عين إسحاق[2]،أما قوات الفاطميين التي يقودها حميد بن يصل فقد دخلت فاس وأعادتها إلى النفوذ الفاطمي ثم قفل القائد الفاطمي[*]،عائداً إلى أفريقية سنة(321 هـ/933 م)[3]،وبهذا أستعاد الأمراء الأدارسة معظم مناطقهم بفضل تحالفهم مع الفاطميين وانهزام موسى بن أبي العافية فأصبح نفوذهم يمتد من البصرة وسبته وأصيلة ومنطقة الهبط وقد أخذوا في هذه المرحلة في تعيين الأمير محمد بن القاسم بن إدريس الثاني أميراً عليهم[4].

8 - الأمير القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني :

تزعم الأمير القاسم الأدارسة واتخذ من قلعة حجر النسر مركزاً وقاعدة له وخضع للنفوذ الفاطمي واستمر في عدائه للأمويين بسبب تضارب المصالح وقد أستمر عدائه للأمويين إلى أن توفى سنة(337 هـ / 948 م) وخلفه في الإمارة أبو العيش أحمد[5].

9 - الأمير أبو العيش أحمد (337 - 343 هـ / 948 - 954 م)

خلف الأمير أبوالعيش أحمد والده في إمارة الأدارسة وقد وصفته المصادر التاريخية بصفات العلم والشجاعة والحلم والكرم[1] ، وقد خطب للناصر وبايع الأمويين وخضع لنفوذهم بعد أن تولى الإمارة ، غير أن الخليفة الأموي لم يقبل بيعته إلا بشرط التنازل له عن سبته وطنجة[2] ،فرفض الأمير أبو العيش أحمد طلب الخليفة الأموي الناصر ، فما كان من الخليفة الأموي إلا أن أرسل له جيشاً لقتاله والتضييق عليه حتى أذعن له وتنازل له عن مدينة سبتة وطنجة وبقى أبوالعيش مع الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة تحت السيادة الأموية[3] ،بعد إن استطاع الخليفة الأموي بسط سيطرته على الثغور البحرية أصبح يتحكم في مياه غرب المتوسط فأشتد سلطانه وتحكم في

---

(1) عبد العزيز، فيلالى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ص 149
(*) هو ابن أخ القائد مصاله بن حبوس الذي تولي حكم تاهرت بعد وفاة أبيه سنة (319 هـ / 931 م) = ابن عذاري : البيان المغرب 2/ 195
(*) مدينة بالمغرب الأقصى بينها وبين فاس مرحلتان بها جامع وأسواق وعين عذبه= البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 142
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 136/6
(*) انقلب القائد الفاطمي حميد بن يصل المكناسي على الدولة الفاطمية وبعث بولائه إلى الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر سنة(328هـ / 939 م) = ابن خلدون : كتاب العبر 7/ 54
(3) الناصري : الاستقصاء 189/1
(4) إسماعيل ،العربي : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ص 169
(5) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 218
(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 129
(2) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 106
(3) الناصري : الاستقصاء 2 / 36

المضيق بدء يتدخل تدخلاً مباشراً لإثارة القبائل المولية له ضد الفاطميين وأعوانهم[4] ،تدهورت أوضاع الأدارسة بعد أن تقلص نفوذهم وسيطر أمر البربر حلفاء الأمويين على مناطقهم وأمام هذا الواقع عزم الأمير أبوالعيش على الخروج من بلاد المغرب فكتب إلى الخليفة الأموي الناصر يستأذنه في الخروج إلى الأندلس برسم الجهاد في مناطق الثغور[5] ،وأستخلف على ما تبقى من مدن الأدارسة أخاه الأمير الحسن كنون،ومات الأمير ابوالعيش مجاهدا في الأندلس سنة (343هـ / 956 م)[6].

10 - الأمير الحسن بن كنون(*) (343 - 364 هـ / 954 - 974 م) :

هو احمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس الثاني الذي خلف أخيه أبي العيش إلى الأندلس تولي الأمارة الأدريسية الأمير الحسن الذي استمرفي طاعة الأمويين وموالاتهم وحكم تحت نفوذهم[1] .وعندما ضعف نفوذ الأمويين في بلاده ن نتيجة لحملة الفاطميين التي قادها جوهر الصقلي(*) ،سنة (348 هـ / 959 م) ، حول طاعته الى الفاطميين وبايعهم، فلما عاد القائد الفاطمي جوهر الصقلي إلى أفريقية سنة (349 هـ /960م)، نكث طاعته للفاطميين ورجع إلى طاعة الأمويين مرة أخرى خوفاً منهم لقرب بلاده من دولته[2]. وقد بقى الحسن بن كنون تحت طاعة ونفوذ الأمويين ،غير أن الفاطميين لم يرضوا بالنفوذ الأموي في المغرب فأرسلوا حملة أخرى قادها بلكين بن زيري الذي كان مدفوعاً إلى الانتقام من قبيلة زناته البربرية الموالية للأمويين لتدبيرها قتل أبيه في ستة(360 هـ / 970 م) وقد طارد خلال هذه الحملة قبائل زناته وانزل بها هزائم مريرة حتى استأصلها إلى ما وراء نهر ملوية[3] إما دافع الفاطميين لإرسال هذه الحملة فكانت تهدف إلى استعادة نفوذ الفاطميين في المغرب فما كان من الأمير الحسن بن كنون إلا أن نقض طاعة الأمويين وأسرع في تأييد بلكين بن زيري وقدم له المساعدة وأستطاع إسترداد بعض مناطق الأدارسة من الأمويين[4] فلما عاد بلكين إلى إفريقية وبلغت أخبار انقلابه إلى الخلافة الأموية أخذ الخليفة الأموي الحكم المستنصر(*)، يحقد على الأمير الحسن بن كنون ويتحين الفرص للانتقام منه وأخذ سياسة واضحة تقوم على التدخل المباشر

---

(4) موسي، عز الدين : دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، دار الشرق (بيروت ، 1983 م) ص 55
(5) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 219
(6) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 89
(*) يصفه ابن الخطيب بقوله هو أحمد بن القاسم بن إدريس الثاني كان فقيهاً ورعاً حافظاً للسيد عارفاً بأخبار الملوك والإنسان = ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط 218 .
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 109
(*) هو أبو الحسن جوهر بن عبدالله المعروف بالكتاب الرومي وهو احد موالي المنصور بالله الفاطمي ترقي في المناصب حتي أصبح قائد القواد في عهد المعز لدين الله الفاطمي = ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد : وفيات الأعيان ، تح إحسان عباس ،دار صادق (بيروت ، د ت) 374/1
(6) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 220
(1) ابن خلدون: كتاب العبر 57/7
(2) ابن عذارى : البيان المغرب 2 / 244
(*) الحكم المستنصر بالله تولي الخلافة الأموية في الأندلس بعد وفاة أبيه الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة (350هـ /961 م) ، وعمره سبعة وأربعون عاما = ابن الأبار: الحلة السيراء 200/1

في شؤون بلاد المغرب لاسترداد نفوذه واتخاذها خط دفاعياً للأندلس من ناحية الجنوب[5] ، لقد كانت سياسته تقوم على مجابهة النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب ومقاومة تطلعاتهم التي كانت متجهة إلى بلاد الأندلس فكانت هذه السياسة متبادلة بين الطرفين استخدمت فيها المواجهة الغير مباشرة عن طريق القبائل الموالية للطرفين[1].

مقاومة الحسن بن كنون للتدخل الأموي

استكمل الخليفة الأموي الحكم المستنصر استعداداته بتهيئة جيوشه وأساطيله استعداداً لعبور المضيق وصبغ هذا التدخل بالصبغة الدينية المذهبية حيث تظاهر بمظهر حامي الإسلام والسنة النبوية من الدعوة الفاطيمية[2]، فوصلت جيوش الأمويين إلى مدينة سبته في شهر شوال سنة (361 هـ / 972 م) ، ومنها بداء الهجوم البري والبحري على المدن الإدريسية حيث استعد الحسن بن كنون لملاقاة الجيش الأندلسي فدارت معركة بأحواز طنجة أسفرت عن هزيمة قوات الحسن بن كنون ، فتقدم الجيش الأموي واستولي على طنجة وأصيلة والتي دخلت في طاعة الأمويين بعد إن تركها الأمير الحسن بن كنون[3]. رغم هذه الانتصارات التي حققتها القوات الأموية واحتلالها للمدن الإدريسية ، إلا أن الأمير الحسن بن كنون لم يستسلم فأخذ في تجميع صفوفه و استطاع مباغتة الجيش الأموي في مكان يعرف بفحص مهران من احواز طنجة استطاع خلال هذه المواجهة من إلحاق الهزيمة بالجيش الأموي وقتل قائده محمد بن القاسم وعدد كبير من جنوده ولجأت بقايا الجيش الأموي إلى مدينة سبته.وبعثوا إلي الحكم المستنصر يطلبون منه الانجاد و الغوث[4] .

بعد هذا الانتصار الذي حققه الأمير الحسن بن كنون على القوات الأموية حاول طلب الصلح وتبادل الأسرى لكسب المعركة لصالحه فبعث إلى أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس برغبته في ذلك ، غير أن هذا العرض قوبل بالرفض من جانب الخليفة الحكم المستنصر الذي أرسل إلى قواته الإمدادات للاستمرار في مقاتلة الحسن بن كنون والأدارسة وتتبع حركتهم، وسخر كل الإمكانيات[1] ،أعد الخليفة المستنصر في سنة (362هـ/974 م) جيشا جعل قيادته لمولاه غالب بن عبدالرحمن[2] ، وزوده بالعتاد والأموال لأستماله القبائل البربرية الموالية للأمير الحسن بن كنون وأمره بأن يشتد في قتال الأدارسة وأن يطهرهم من بلاد العدوة[*]،من كل الأعداء المناوئين لبنى أمية[3] ، وقال له (

---

(3) عبد العزيز، فيلالى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ص 198
(1) دوزي، رينهرت : المسلمون في الأندلس ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة ، 1994 م) 2 / 124
(2) عبد العزيز، فيلا لي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ص 108
(3) التازى ، عبدالهادي : الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، دار نشر المعرفة (الرباط ، 2001 م) 209/1
(4) عنان، عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية و الدولة العامرية) ، مكتب الخانجي (القاهرة 1997م) ص 495
(1) ابن عذارى: البيان المغرب 445/2
(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص112
(*) سمي المغرب الأقصى ببر العدوة لسهولة الجواز منه واليه إلى الأندلس . القلقشندى أبو العباس احمد بن على : صبح الأعشى في صناعة الإنشا شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب دار الكتب العلمية (بيروت ، 1982م) : 153/5 - 155

يا غالب سر سيراً ما لا أذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً أو ميتاً معذوراً ولا تشح بالمال وأبسط يديك به يتبعك الناس) [4]،ولم يكتف الخليفة الأموي بكل هذه الإجراءات فاستدعى صاحب الثغر الأعلى (يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي) من قاعدته بمن معه من رجال ونزل بجنده في طنجة وانضم إلى قوات القائد الأعلى غالب بن عبدالرحمن[5]،علم الأمير الحسن بن كنون بقدوم القوات الأموية فغادر مدينة البصرة وانسحب بقواته وأهله وتحصن في قلعة حجر النسر[6] .

وقد أبدى الأدارسة مقاومة عنيفة في مواجهة القوات الأموية لكن القائد الأندلسي غالب شدد عليهم الحصار وقطع عنهم كل الإمدادات واستطاع تأليب المواليين للأمير الحسن بن كنون عن طريق بذل الأموال على زعماء القبائل من اجل التخلي عن الأمير الإدريسي حتى لم يبقي معه إلا خاصة رجاله، وأمام هذا الحصار الشديد ونقص المؤن أضطر الأمير الحسن بن كنون إلى طلب الصلح والأمان وأعلن طاعته للخليفة الأموي الحكم المستنصر فأجيب إلى طلبه ودخل القائد غالب إلى قلعة حجر النسر ، وفي هذا ويقول بن عذاري واصفاً هذا الموقف (وفيها ورد الخبر السار على الخليفة المستنصر بإذعان الحسن بن كنون الحسين ودخوله في طاعته) [1] .

وفي المحرم سنة(364 هـ / 974 م) عاد القائد غالب إلي الأندلس ومعه الأمير الحسن بن كنون وأهله وأقربائه[*] من الأدارسة وكان بينهم شيخ الأدارسة أحمد بن عيسى المشهور بحنون صاحب مدينة الأقلام وما ولالها بأرض العدوه [2].

وباستسلام الأمير الحسن بن كنون وضياع نفوذ الأدارسة في بلاد المغرب طويت صفحة الأمراء الأدارسة في بلاد المغرب وضمن الخليفة المستنصر سيطرته على بلاد العدوة ومضيق جبل طارق وقد حرص على أن يعين في حكم هذه المناطق إلى أميراً أندلسي اشتهر بعداوته للزيريين وهو جعفر بن علي بن حمدون[*] ،الذي أشترك مع أخيه يحيى في حكم هذه المنطقة بالتعاون مع زعماء قبائل زناته من مغراوه وبني يفرن[3]،وقد استطاع الأمير جعفر بن علي بناء على توليه أمر بلاد المغرب الأقصى إن يضبط أمورها وذلك باكتساب القبائل البربرية من بني يفرن وزناته ومكناسة إلى جانبه والتي اشتهرت بعداوتها للفاطميين،وقد تعاونوا في صد الهجمات

---

(3) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 47 –48

(4) الناصري : الاستقصاء 1 / 78

(5) مؤلف مجهول : مفاخر البربر تح عبدالقادر بوبايه ، دار اقرأ (الرباط ، 2005 م) ص 99

(6) ابن خلدون : كتاب العبر 258/6

(1) مسعد ، سامية مصطفى : العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، مركز عين للدراسات (القاهرة، 2000م) ص 108.

(*) يذكر ابن أبي زرع إن عددهم سبعمائة رجل. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 114

(2) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 260

(*) هو جعفر بن على بن حمدون المعروف بالأندلسي انتقل جده حمدون إلى بجاية ببلاد المغرب فمال إلى دعوة الفاطميين فكانت له مكانة كبيرة عند القادة الفاطميين ورث ابنه على هذه المكانة فكان من اكبر القادة الفاطميين في عهد عبيد الله المهدي ، وبناء مدينة المسيله بتكليف منه وتولي إمارتها تم تولها ابنه جعفر من بعده إلى انقلب إلى دعوة الأمويين في الأندلس فأصبح من اشد المقربين للخليفة الحكم المستنصر= ابن عذارى : البيان المغرب 342/2

(3) الشطشاط ،علي حسين : تاريخ الإسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة، دار قباء (القاهرة، 2001م) ص190

التي كان يقوم بها بلكين بن زيري الذي أصبح ممثلاً للفاطميين على بلاد إفريقيه والمغرب ،وقد تمكن الأمير جعفر من تثبيت النفوذ الأموي في بلاد المغرب طيلة أيام الحكم المستنصر[4] .

الفصل الثالث

المظاهـــر الحضاريــة فـــي دولـــة الأدارســـة

أولا : النظم الإدارية

ثانيا : النظم الاقتصادية

ثالثاً : النظم المالية

رابعاً : الحركة العمرانية

خامساً : الحركة الفكرية

التنظيم الإداري في دولة الأدارسة

نظم الأدارسة دولتهم وشهدت تقدماً في جميع النواحي بفضل الأنظمة الإدارية التي ادخلوها في الدولة وأهم هذه التنظيمات

أولا : النظم الإدارية

(4) عبد العزيز، فيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول الغرب ص 212

1 - الإمامة :

كان الأدارسة أول من دخل بلاد المغرب الأقصى من آل البيت وهذا جعل أنظار البربر تتطلع إليهم باحترام ،وقد استطاع مؤسس الدوله الأدارسة الإمام إدريس الأول أن يضم حوله البربر ويكون بهم دولته بعد أن كانت المنطقة تعاني من عدم الاستقرار[1]،اتخذ الأدارسة في نظام حكمهم لقب الأئمة وبنوا حقهم في أنهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحفاده واقنعوا أهل المغرب بهذا الحق ولم يتلقبوا بلقب الخلافة الذي كان شائعا في مناطق العالم الإسلامي لأنهم اعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة في الدين[2].وقد ورد لفظ الإمام في القرآن الكريم قال تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَات) [3]، فكان الإمام يحكم الدولة ويسير أمورها بمفهومه الديني فيؤم الناس في الصلاة طيلة أيام الأسبوع ، خاصة صلاة الجمعة وكذلك صلاة العيدين وكان يجلس للناس بعد كل صلاة في أوقات محدده يحكم بينهم ويعالج مشاكلهم ويعظمهم ويعلمهم أحكام الإسلام واللغة العربية بتواضع لم يشهده أهل المغرب مما زاد في محبتهم لآل البيت وتعلقهم بهم[4]،لقد كان حب قبائل البربر في المغرب الأقصى لآل البيت النبوة قد تمكن من نفوسهم حتى أنهم عندما مات الإمام إدريس الأول اجمعوا علي أن يكون مكانه فارغاً حتى تلد جاريته على نحو ما كان عند عرف الحكم في الإمامه [5] .

رغم أن المصادر التاريخية لم تعط إلا معلومات هزيلة وشحيحة عن أحوالهم الإجتماعيه لكن حسب بعض الإشارات يبدو أن الجيل الأول من ألائمة الأدارسة عاش عيشة البداوة والتقشف فقد كان الأمام في المرحلة الأولى يمثل دور القدوة والاسوه الحسنه لقومه في اكتساب المجد والمدافعة عن الحوزة وعدم الانفراد بشي من دونهم[1] .

وقد ضرب الإمام إدريس الثاني المثل في التواضع والبعد عن مظاهر الترف والرفاهية فيذكر الجرنائى في حديثة عن الإمام إدريس الثاني عند اكتمال بناء مدينه فاس ، أنه اختط داره لتكون دار الإمارة ومحل سكنه وإنها عبارة عن بناء بسيط عرفت بالمقرمدة [2].

2- الـوزارة :-

اتخذت الوزارة لدي الأئمة الأدارسة في بداية عهدهم طابع الشورى امتثالا لقوله تعالى((وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)) [3].

---

(1) أيوب، إبراهيم : التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، دار الكتاب العالمي ، (بيروت ، 1989م) ص 165
(2) ابن خلدون : المقدمة ، منشورات مكتبة الهلال (بيروت ، 1996 م) ص 136 .
(3) سورة الأنبياء الآية : 72
(4) عبد الحميد، حسين حمودة : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطيمية ص368
(5) نجاح القابسى : النزعات المذهبية والسياسية في المغرب في صدر الإسلام، مجلة كلية التربية ، جامعة الفاتح ، العدد السابع (طرابلس ،1977م) ص 320
(1) ابن خلدون : كتاب العبر 2 / 493
(2) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 25
(3) سورة الشورى : الآية 35

فكان المقربون لدى الإمام إدريس الأول أقرب إلى المستشارين منهم إلى الوزراء ، فقد اشتهر راشد الأوربي بقربه وملازمته للإمام إدريس الأول فكان شديد الحب والإخلاص للإمام إدريس الثاني وحرص على استمرار دولته بعد موت الإمام إدريس الأول سنه (177هـ /793م) [4] ، وكان أبو خالد بن يزيد بن اليأس العبدى الاوربى ، في عهد إدريس الثاني من المقربين للإمام إدريس الثاني فقد اشترك مع راشد في الوصاية على الإمام إدريس الثاني[5] .

ظهر منصب الوزارة لأول مره في دوله الأدارسة في عهد الإمام إدريس الثاني بعد قدوم الوفود العربية عليه فأختار من بين العرب الوافدين عمير بن مصعب الأزدى ، الذي أفاضت المصادر التاريخية في ذكر صفاته الحميدة فوصفته بأنه من فرسان العرب وسادتها[1].

حظي الوزير عمير بن مصعب بمكانه مرموقة وكان من أشد المقربين إلى الإمام إدريس الثاني فأسند إليه اختيار موضع حاضره الأدارسة فاس، ونجح في ذلك فرفع من مكانته فزوجة من ابنته عاتكه بنت الأمام إدريس الثاني[2] ،ومن الناحية الاجتماعية فقد عاش الوزراء في الدولة الإدريسية حياة أئمتهم ، فقد حظوا بجانب من الهبات والأعطيات التي يعطيها الأئمة الأدارسة لهم ، فقد امتلك الوزير عمير بن مصعب العديد من الدور والأملاك خارج مدينة فاس وداخلها وتعددت عنده الزوجات[3] .

3 - الكتابـــة

يرى أبن خلدون أن خطه الكتابة إحدى الصنائع التي تؤدي إلى مخالطة الملوك فأصبح لها بذلك شرف ليس لغيرها[4] .وقد برزت أهميه الكاتب في المرحلة التي يشب فيها عود الدولة ويشرع الأمراء في تحصيل ثمرات الملك من الخراج والجبايات وغيرها[5] .كانت حاجه الدولة الإدريسية للكتابة تجلت في توجيه الأوامر للرعية وبعث الرسائل والأشراف على جباية الموارد ونقل أخبار المعارك ويشترط لاختبار هذه الوظيفة شروط ومواصفات معينه ،غير أن المصادر التاريخية لم تحفظ لنا سوى اسماً واحدا من كتاب الدولة الإدريسية وهو الكاتب أبو الحسن عبد الله بن مالك الأنصاري الذي كتب عقد شراء الأرض الذي بنيت عليها فاس [6].

4 - القضـــاء

---

(4) الشمسي ، الطاهر بن عبد السلام : الحصن المتين للشرفاء أولاد مولاي عبدا لسلام مع ابنا عمهم العلميين ، شركة بابل (الرباط ، 1993م) ص 261
(5) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ص 197
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص29
(2) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص19
(3) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ص 13 – 14
(4) ابن خلدون : كتاب العبر 3 / 911
(5) المصدر نفسه: 2 / 634
(6) الناصري : الاستقصاء 1 / 163

كان منصب القضاء في بداية عصر الدولة الإدريسية مقتصرا على الإمام إدريس الأول الذي كان يحكم بينهم في سائر أحكامهم[1] .

ومع تطور الدولة الإدريسية واتساع رقعتها في عهد إدريس الثاني خاصة بعد بناء حاضره الأدارسة فاس وقدوم الوفود العربية من إفريقيه والأندلس أصبحت حاجه الدولة ماسه إلي تعين قاضى يفصل بين الناس في إحكامهم وغدا منصب القضاء في المرتبة الأولى بعد الخلافة لأن القضاء من أهم الوظائف، نظرا لأهمية منصب القضاة في الدولة فلا بد أن يتوفر في من يشغله صفات وشروط منها أن يكون فطنا نزيها حليما غير فقير ولا مستضعف وأن يتخذ كتاب الله وسنته دليلا له[2] .

وقد كان أول قاضى اختاره الإمام إدريس الثاني هو القاضي عامر بن محمد بن سعيد القيسي، والذي اتصف بصفات حميدة فذكر أنه سمع من مالك ابن أنس وسفيان الثوري وروى عنهم كثيرا ، وقد خرج إلى الأندلس برسم الجهاد ثم جاز المضيق قاصدا المغرب فوفد على الإمام إدريس الثاني الذي علم صفاته في الصلاح والورع فقلده القضاء[3].

وقد كان القاضي عامر بن محمد يحكم وفق مذهب الإمام مالك[*] ،الذي كان يقوم على أساس الكتاب والسنة وقد انتشر في بلاد المغرب والأندلس ومما زاد في انتشار المذهب المالكي على العموم في إفريقية والمغرب هو استمساك أهل المغرب بالنصوص الشرعية من قرآن والسنة والإعراض عن التخريج والتأويل وأعمال الرأي ، والتمرد السياسي وظهور الفرق وثورات الخوارج[1] ، وفي هذا الصدد يقول أبن خلدون ((وأما مالك فأختص بمنهجه أهل المغرب والأندلس وأن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوه)).ولاشك أن هذا المذهب الذي كان منتشرا في بلاد الأندلس قد حملة إلى بلاد المغرب طائفة من العلماء الذين توافدوا على دولة الأدارسة عقب هجرة الأندلسيين وبناء مدينة فاس وبذلك كثر اتباعة بعد أن لقي استحسان جميع السكان ، فكان الغالب على أهله مذهب الحديث والإفتاء على مذهب الإمام مالك [2] .

إن حرص ألائمه الأدارسة على تبنى المذهب المالكي هو إدراكهم العميق أثر هذا المذهب في نفوس المغاربة على العموم ، وقد أعلن إدريس الثاني في بداية عهده تبنيه المذهب المالكي السني فينسب إليه أنه قال((نحن أحق بإتباع مذهبه وقراءة كتابه وأمر بذلك في جميع عمالته[3] .

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 83

(2)النباهى ، أبو الحسن بن عبدالله: المراقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا ،تح ، ليفي بروفنسال دار الأفاق الجديدة (بيروت 1983م) ص2-4

(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص29

(*) هو الإمام مالك ابن انس ابن أبي عامر الملقب بإمام دار الهجرة والذي يوصف بالعلم والاتساع في الفقه وقد توفي سنة(179هـ / 795م) ابن النديم : الفهرست ص 280

(1) أبو العرب، محمد بن أحمد تميم : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تح ، علي الشابي ونعيم حسن ،مكتبة مذبولى (القاهرة ،1993 م) ص 8

(2) الاصطخري :المسالك والممالك ص37.

(3) ابن خلدون : كتاب العبر ص 436/6

لقد ازداد انتشار المذهب المالكي في الدولة الإدريسية خصوصاً بعد توافد الهجرات العربية من قرطبة والقيروان وقد كانوا في أغلبهم على مذهب الإمام مالك وفي هذا يقول المراكشي و فاس حاضره الأدارسة ((فاس حاضره المغرب واجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة)) [4].

وقد أجمعت المصادر التاريخية أن مدينة فاس حاضرة الأدارسة كانت دار فقه وعلم وصلاح ودين[5]، فوصفت بأن أهلها ظرفاء وأدباء وأكثرهم فقهاء [6]، فكانت مجالس القضاء تعقد في الجانب الغربي من مسجد القرويين[7] ،لقد اشتهر قضاه الأدارسة بالزهد والعفاف والعدل والورع والتقلل من الدنيا والاجتهاد في الأحكام وعدم التعجل بالقضاء قبل استفتاء حجج وسماع الشهود دون ملل أو سأم والقعود إلى الناس في نشاط وفتور[8].

ذكرت بعض المصادر أسماء لبيوت مدينة فاس تولي إفرادها منصب القضاء مثل بيت بني بكار الدين كانوا بيت علم وفقه تولى ثلاثة منهم منصب القضاة في عهد الأدارسة[1] ،وبيت بني الملجوم وبيت بني الودون من الزوغين الذين كانوا يملكون مواضع بعدوه الأندلسيين تولى بعضهم القضاة في اوخر عهد دوله الأدارسة[2] ، غير أن المصادر التاريخية لا تمدنا بمعلومات دقيقة عن القضاة غير تلك الأسماء ولعل السبب يرجع إلي ما ذكره صاحب كتاب مفاخر البربر بأنه ((كان بفاس من الفقهاء والأعلام الأجلاء أعيان الأنام ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام وهي قاعدة المغرب ودار العلم والآداب لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم وأغفلوا تخليد مفاخر فقهائهم[3] ،)) كذلك فإن تعاقب الحروب في بلاد المغرب الأقصى وخضوعها للنفوذ الفاطمي والأموي يجعلنا نخمن أن كل ماكتب عن قضاة الأدارسة ومؤلفاتهم قد دخل في حلقة الصراع المذهبي الذي وقع في بلاد المغرب الأقصى .

ثانياً – النظم الاقتصادية

أ - الزراعـــــة و المحاصيل الزراعية:

اشتهرت حاضرة الأدارسة فاس منذ تأسيسها بخصوبة تربتها ، وإليها يرجع سبب اختيار الإمام إدريس الثاني ووزيره عمير في اختيار موقعها ذلك أن الوزير عمير رجع إلي الإمام إدريس الثاني وأعلمه بما رأى من الأرض وما استحسنه من طيب تربتها[4] .

ويذكر المراكشي عن وصف تربتها فيقول ((ما أظن في الدنيا مدينة كمدينة فاس أخصب جهات)) [5].

(4 المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص إخبار المغرب ص 290
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 36
(6) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص77
(7) الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر : كتاب الجعرافيا ، تح محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د ت) ص 124
(8) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 95 -96
(1) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ص 37 – 38
(2) الكتانى : سلوة الأنفاس محادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 3 / 5
(3)مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 76
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 39

وقد كان للتنوع في التضاريس الفضل في التنوع الزراعي فاهتم الأدارسه بالمجال الزراعي منذ بداية دولتهم فوضعوا سياسة تقوم على ازدهار الزراعة وتشجيع الغرس وزراعة الأرض ويتضح ذلك من دعوة الإمام إدريس الثاني للقبائل عند بناء مدينة فاس بقوله ((من ابتنى موضوعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبه ابتغاء وجه الله تعالى))[1]،ثم أمرهم بزيادة الغرس فغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه بنهر سبو بأنواع الأشجار وضروب الثمار وحرثوا سائر نواحيها بأنواع الزراعات فعمرت الأرض بالغراسه والحراثه وظهر ذلك وانتفع بغلاته في أقرب وقت فكثرت الخيرات[2] .

كما أن الأدارسة وضعوا حدا لسياسة الضغط الإقتصادي التي كانت تمر بها بلاد المغرب قبل قيام دولتهم حيث قامت سياستهم الإقتصادية على مبدأ العدل والمساواة مما كان له الأثر في إزدهار ونهوض النشاط الزراعي[3]، وقد أكد ذلك ابن حوقل فقال " إن آل إدريس كانوا في غاية الخصب ورخص الأسعار واللذيذ من الأغذية الحسنة "[4].

وقد اهتم الأدارسة باستثمار الموارد المائية المتاحة لدولتهم فشقوا القنوات على الأنهار لتوصيل المياه إلى الأراضي الزراعية ، كما أنهم اشتغلوا مياه العيون التي كانت منتشرة خصوصا في فاس التي يصفها ابن سعيد بقوله"إن بفأس القديمة وحدها أربعمائة سارحة "[5] من أشهرها عين عمير[6].

كما إن الأدارسة أولو عناية خاصة بإقامة السدود على ضفاف الأنهار ولاسيما نهر فاس الذي كانت تتفرع منه قنوات تروى البساتين الواقعة علي ضفتي الوادي وكانت هذه السدود عبارة عن بناء من الحجارة والطين يمكن توسيعه أو تضيقه حسب الحاجة[1] .

ومن الطرق التي استخدمها الأدارسة لحفظ مياه الأمطار والأنهار الصهاريج والمواجل لأستخدمها في المجال الزراعي[2] .

تشير المصادر التاريخية إلى تنوع الإنتاج الزراعي في دولة الأدارسة حسب موقع مكان المدينة ومزارعها فتذكر اشتهار فاس وما حولها بإنتاج أصناف متنوعة من الفواكه و الحمضيات ومن هذه الأصناف التفاح الذي اشتهرت به فاس وكان يعرف بالطرابلسي وكان حسن الطعم و الرائحة ، ومن الأصناف التي عرفت رواجا في زراعتها العنب الذي انتشرت

---

(5) المراكشي : المعجب في تلخيص إخبار المغرب ص 290
(1) الجزنائى : جني زهرة آلآس في بناء مدينة فاس ص19
(2) ابن القاضى : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1 / 19
(3) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ص 73
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ص 104
(5)القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 5 /175
(6) ابن سعيد،أبو الحسن علي بن موسي المغربي:كتاب الجغرافيا ، تح ، إسماعيل العربي ، المكتب التجاري ،(بيروت ،1970 م) ص 16
(1) موسى ، عزالدين احمد : النشاط الاقتصادى في المغرب الاسلامى خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق (بيروت 1983م) ص 64
(2) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 176/5

زراعته بين فاس وسبته وسجلماسه[3]، كما اشتهر حصن مغيله بكثرة زراعة التين الذي يجفف حتي يصبح زبيباً ويحمل منه كميات كبيرة إلى أسواق مدينة فاس[4].

واشتهرت فاس بزراعه التين كذلك شجع الأدارسة زراعه الزيتون خاصة بين فاس ومكناس وقد ساعد على زراعته مناخ المنطقة التي يسود فيها في الغالب المناخ البحر المتوسط، ومما يذكره ابن أبي زرع ((إن سكان فاس غرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه بنهر سبو بأشجار الزيتون[5] ،)).

كما أن زراعه الحبوب كانت منتشرة على نطاق واسع في مدن المغرب الأقصى، فقد امتدت مناطق الزراعة على السهول مابين فاس ومكناس ومنطقة السوس الأقصى[6] وكانت مدن الأدارسة تشتهر بزراعه القمح الذي عرف بطيب المنشأ وأن أسعاره رخيصة مقارنه بالبلدان المجاورة وهذا يدل على وفره الإنتاج[*]، وغزارته فقد بلغ سعر الوسق من القمح درهمين ووسق الشعير بدرهم[1] ، وبجانب ذلك اشتهرت بعض المدن بزراعه أصناف معينه من المزروعات كمدينه سبته واغمات[2] ، اللتان اشتهرتا بزراعه قصب السكر الذي كان يصدر إلى البلدان المجاورة[3] ، وانتشرت زراعه القصب في مدينه البصرة ، وزراعة الكتان مابين تاهرت وفاس ، كما أن زراعة النخيل انتشرت في سائر مناطق المغرب في الساحل والدواخل والصحراء حتى وصفها البكري في وفره الإنتاج ((بأن أحمال التمور كانت تباع بدون كراء الدابة من البستان إلى السوق لكثرة وجود النخيل)) فانتشرت زراعة النخيل في مدن المغرب الأقصى كمدينة أغمات[4] ، ومنطقة السوس الأقصى[5].

2 – الرعي والصيد

كانت تربيه الحيوانات ومهنه الرعي من أول النشاطات التي عرفها سكان بلاد المغرب وقد اهتم الأدارسة بهذا النشاط وتطويره فقد ذكرت المصادر أن قبيلة زواغه وزناته ممن كان يمتهن حرفه الرعي[6] ، ويرسم ابن خلدون صوره واضحة عن نشاط القبائل البربرية فيقول " ومكاسبهم الشاه البقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج"[7].

---

(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 46
(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 153
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 46
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ص 39
(*) يذكر ابن أبي زرع انه في سنة (232 هـ / 847 م) حدث قحط في بلاد الأندلس وغلت بها الأسعار فكان سكان الأندلس يعتمدون على بلاد المغرب في توفير حاجاتهم من الحبوب والغلة = ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 118
(1) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 152/5
(2) ابن حوقل : صورة الأرض ص 80—90
(3) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ص 50
(4)أغمات : بلد من إقليم السوس الأقصى وهي بلده تشع في سهل وجبل وبها مزارع ومراعي خصبة ،أهلها من قبائل صنهاجه = اليعقوبي :البلدان ص 73
(5) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص162 ، كذلك الزهري : كتاب الجغرافيا ص118 .
(6) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص19
(7) ابن خلدون : كتاب العبر 6 / 175

وقد صاحب الاستقرار السياسي وانتشار الأمن وامتهان حرفه الزراعة زيادة عدد المواشي والاهتمام بها ولاسيما تربية الأبقار والثيران لأستخدمها في النشاط الزراعي كحراثه الأرض والدرس واستخدامها في أساليب الري[8].

وأهم الحيوانات التي انتشرت تربيتها كانت الأغنام التي كانت تربي على نطاق واسع[1]. وقد ازدهرت حرفة تربية الأغنام في دولة الأدارسة مما جعل أبن زرع يصف رخص أسعار أغنام فيقول ((وكان الكبش من الغنم يباع بدرهم ونصف في أيام إدريس الثاني وذريته من بعده))[2]، ولعلى البكري الذي يقدم لنا وصفاً على كثرة إنتاج اللحم ووفرته في مدينة اغمات التي يذبح في أسواقها مائة ثور وألف شاة تباع في يوم واحد، واتصفت لحوم الأغنام بأنها أطيب اللحوم ، أما عن تربية الأبقار فقد كانت بأعداد كبيرة مما أدى إلى وفرة الألبان ومنتجاتها التي اشتهرت بها أقاليم المغرب الأقصى[3]. والى جانب حيوانات الرعي ، انتشرت تربية الخيول فكانت منطقة جبل فأزاز من اشهرمناطق تربيتها[4] ، وكانت لها عناية خاصة من جانب الائمة الأدارسة فقد تربى معظم الامراء الأدارسة على التدريب علي ركوبها[5] ، كما أن نشاط تربية الحيوانات عرف أنواعا أخرى كتربية الطيور المنزلية بغرض الاستفادة من لحومها[6] ،والى جانب ذلك تربية البط و الأوز والحمام حيث انتشرت أبراجه على أسطح المنازل.وعرفت بعض المدن الأدريسية تربية النحل بغرض إنتاج العسل لاسيما في الحقول وقد عانهم على هذا النشاط توفر النباتات المزهرة، فكان الإنتاج وفير حتى أنه يباع منه الخمسة وعشرون رطلا بدرهم[7] .

امتهن بعض سكان المدن الأدريسية الواقعة على البحار والأنهار مهنة صيد الأسماك وقد ذكرت المصادر التاريخية إن مدينة فاس اشتهرت بنشاط صيد الأسماك في الأنهار ولاسيما نهر سبو الذي توفرت فيه أصناف متعددة من الحيتان[8]،مثل حوت اللبيس والبوري والبوقا الذي يوصف بطعمه اللذيذ[1] ، ووصف أنواعا أخري بكبر حجمها إذ تزيد في وزنها عن القنطار وتنقل هذه الأسماك بالدواب إلى أسواق المدينة[2] ، كما امتهن بعض سكان مدينة فاس صيد الصدف من قاع نهر سبو الذي أطلق عليه نهر الجواهر وقد عرف هذا الصدف بغلاء ثمنه إذ يضاهي الجواهر وفي هذا يقول ابن أبي زرع(يخرج منه الصدف الحسن الذي يقوم مقام الجوهر النفيس)[3]،ومع توفر الغابات

---

(8) لومبار : الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلي القرن الخامس للهجري ص 84
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 50
(2) مؤلف مجهول : الأستبصار في عجائب الأمصار ، تح سعد زغلول (بغداد ، 1986م) ص187
(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 100- 153
(4) مؤلف مجهول : الاستبصار ص178
(5) الجزنائى: جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 16
(6) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 5 / 77
(7) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 50
(8) المصدر نفسه :ص 43
(1) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 39
(2) مؤلف مجهول : الاستبصار ص 185
(3) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 43

التي احتوت على العديد من الأصناف الجيدة من الأشجار التي كانت تنمو في مناطق الدولة تجعلنا نعتقد بات نشاط الصيد البحري قد صاحبة بناء السفن والقوارب التي تخدم هذا النشاط الذي شمل الأنهار والبحار.

3 - النشاط الصناعي

حرص الأدارسة على تطوير الصناعة وازدهارها حتى ذاع عن المدن الأدريسية لاسيما فاس التي يصفها المراكشي بقوله " لا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلي شي يجلب إليها من غيرها سوى فاس فأنها لا تحتاج إلي شي مما تدعوا إليه الضرورة بل هي أوسع البلاد مرافقا وتملؤها خيراً[4] ، وقد تطورت الصناعة تطور ملحوظا بعد قدوم الهجرات الوافدة علي الدولة الأدريسة من الأندلس وافريقية والتي ضمت إعداد من الحرفين في المجال الصناعي[5] ، فقد قامت عده صناعات كالصناعات المعدنية التي اعتمدت علي توفر المناجم كمناجم الحديد والفضة والذهب التي كانت في مدن الأدارسة[6] ، ومناجم النحاس الأصفر الذي كان يصدر إلي جميع الأفاق [7] ، وبجانب ذلك وفرت الحاصلات الزراعية التي اشتهرت بها المدن الأدريسية قيام صناعات كصناعه النسيج التي قامت علي القطن والكتان والصوف[1]،كما صنع من الكتان الشرائط والبكاكير التي تغطي بها قاعات الصلاة في المساجد في فصل الصيف عند اشتداد الحرارة، كما اشتهرت بعض النساء في صنع واثقان الأزياء المزركشة التي تلبس في المناسبات الهامة، وقد اشتهرت المدن الإدريسية بالصناعة وكان علي رأسها عصر الزيتون فانتشرت معاصر الزيتون في المدن الأدريسية خاصة فاس[2]،كما أن صناعة وطحن الحبوب والغلال لاقت رواجا بسبب توفر الإنتاج الزراعي مثل القمح والشعير فقد أنتجه السكان للاستفادة من الحبوب عن طريق طحنها بواسطة الارحاء خاصة في فاس إذا يقول اليعقوبى ((وعلي الجانب الغربي من فاس ثلاثة آلاف رحى تطحن))[3]، والى جانب ذلك قامت بعض الصناعات كصناعه ماء الورد الذي اشتهرت به فاس بسب وفره الورود وأنوعها المختلفة ،ومع توفر خامات الحجارة الرمال والصلصال والجبس صاحب ذلك وجود صناعات تقوم على تلك الخامات وقد برزت مدينة فاس كمنطقة كبري لإنتاج الفخار فقد ذكر ابن أبي زرع

---

(4) المراكشي : المعجب في تلخيص إخبار المغرب ص290
(5) عبد الحميد، حسن : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطيمية ص370
(6) مؤلف مجهول : الاستبصار ص181
(7) المراكشي: المعجب في تلخيص إخبار المغرب ض 242
(1) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص 84
(2) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 78- 88
(3) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : البلدان ، دار صادر (بيروت ، د ت) ص 73
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 58 -59
(5) ابن حوقل : صورة الأرض ص 81 – 84

وجود الأفران المعدة لعمل الفخار والزجاج[4]،كما إن صناعة الورق لاقت ازدهارا كبيرا في المدن الأدريسية ولاسيما فاس التي كانت دار علم وفقه. فكان طبيعيا أن ننتشر هذه الصناعة التي كانت تعتمد على القطن والكتان[5]،ومع توفر أنواع مختلفة من الغابات والأشجار حول المدن الأدريسية لاسيما مدينة فاس التي ذكرت المصادر التاريخية انه يجلب إليها أحمالا من الخشب الذي لا يصيبه العفن والسوس ويعمر سنوات طويلة ، ونعتقد انه صاحب هذا الإنتاج تصنيع الأخشاب في بناء المنازل وصناعة الأغراض المنزلية فضلاً عن توفر الحطب والفحم الذي يدخل إليها بكميات وفيرة وهذا يدل على تطور المدينة وقيام نشاط صناعي يعتمد على هذه المواد الخام[1].

4 - النشاط التجـــاري

كان للنشاط التجاري في دولة الأدارسة دور واضح في رواج المنتجات الزراعية والحرفية ، فقد توفرت الأسواق الداخلية والخارجية لتصريف تلك المنتجات والسلع وأعطى الاستقرار النسبي الذي شهدته المنطقة فرصة طيبة للإنتاج والاستهلاك كل حسب متطلباته وتتغير هذه الصورة وقت الفتن والحروب[2]، وقد حرص الأئمة الأدارسة علي الاهتمام بالتجارة وتأمين حركتها وتوفير الأسواق التجارية وتنظيمها فنجد الأمام إدريس الثاني يحرص بنفسه على الاهتمام بأسواق فاس وتنظيمها وإقامة المنشآت الخدمية لها من خانات وحمامات وفنادق وغيرها[3] ، فازدهرت حركة التجارة الداخلية والخارجية لاسيما في حاضره الأدارسة فاس التي أقيمت فيها الأسواق التي تسمت بأسماء نسبت إلى إعلام وقبائل فمثلا سوق الإمام إدريس الذي كان قريبا من المسجد الجامع بعدوه القرويين[4]، أو سوق أبن فذة وهم من بيوت مدينة فاس سكنوها عند تأسيسها[5] ، كذلك نسبت بعض الأسواق إلى صناعات وحرف كسوق الرماحين وسوق النجارين وغيرها[6]،سوق بيع الكاغد والحناء والكبريت والأعشاب والمراهم والعقاقير وأسواق بيع الحبوب والغلات التي زرعت بمدينة فاس أو جلبت من خارجها كما وجدت أسواق لبيع العقيق[7] .

---

(1) الجز نائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 35
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 4/ 38
(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 57
(4) ابن عيشون،أبى عبد الله محمد الشراط: الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من أهل فاس ،تح،زهرا النظام ، مطبعة النجاح دار البيضاء،1997م) ص 153
(5) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ص 8
(6) ابن القطان ، أبى محمد حسن بن على : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،تح محمد على مكي ، دار الغرب الاسلامى (تطوان،1990م) ص 248
(7) الحسن، الوزان : وصف افريقية ص 239 – 241

كما اختصت بعض الأسواق الاخري لبيع الجبن واللبن كسوق عين علوان[1]. وكانت الأسواق التجارية تلعب دور كبير في حياة المدن الإسلامية عامة فالسوق ، يعبر عن عظمة المدينة وثرائها[2] ،لذلك نجد أن حاضره الأدارسة فاس .قد حفلت بعده أسواق مختلفة[3] .

وعرفت المدن الأخرى أنواعا عديدة من الأسواق فنجد مدينة أصيلا التي كانت أسواقها عامره بالبضائع المختلفة حتى أن البكري يصفها فيقول ((أصيلا سوقها حافلة يوم الجمعة ولها سوق جامعة ثلاث مرات في السنة وهي في شهر رمضان والعاشر من ذوالحجة وعاشور)). كذلك كانت لمدينة سبته أسواق عامرة وصفها البكري بالسوق اللطيفة [4] ،ومن المدن الأخرى التي حفلت بالأسواق الأسبوعية كانت مدينة وليلي التي كانت سوقها يوم الأربعاء وسوق اودغشت وسوق أغمات كان يوم الأحد حيث يمتلي سوقها بأنواع السلع والبضائع التي تأتي من كل مكان[5] ، غير إن حاضرة الأدارسة حظيت أسواقها بالتنظيم الدقيق فهذا الحسن الوزان يصفها بالتنظيم الذي وضعه الإمام إدريس الثاني من حيث ترتيب المهن والحرف والصنايع ، كذلك أشار ابن حوقل بالاهتمام بسوق فاس فقال ((كانت سوق فاس ترش فيها الماء في الصيف لتخفيف شده الحرارة [6].)) ويذكر البكري إن الأسواق امتدت على طول الطريق بين فاس و طنجة ونهر اولكس، كما عرفت مدينة درعه أسواق جامعه وكانت تجارتها رائجة ورابحة[7].

5 - التجارة الخارجية

ساهمت دولة الأدارسة بنصيب كبير في ميدان التجارة الدولية الخارجية خاصة بعد إقرار الإئمة الأدارسة الأمن وإنشاء المراكز التجارية على طريق القوافل التجارية المتجهة إلي فاس أو خارجها وخاصة القوافل التجارية المتجهة إلي تخوم الصحراء وبلاد السودان فأزدهرت تجارة الذهب والرقيق [1] ، كما أن الأمراء الأدارسة أولوا عناية خاصة بتوفير مستلزمات تلك القوافل من إقامة مراكز الإقامة وتوفير الحراسة اللازمة لتلك القوافل التجارية القادمة أو الخارجة لدولتهم وذلك بتكليف بعض القبائل البربرية بحراستها حسب الأماكن التي تمر بها ، مما أدي إلي ازدهار التجارة القادمة من الجنوب [2] ،وعلى الرغم من أن الدولة الأدريسية قد انقسمت إلي إمارات بعد إدريس الثاني إلا أنها ظلت تتبع الحكم المركزي في فاس حيث يقول أبن خلدون ((وصارت

(1) ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من أهل فاس ص 73
(2) ديموتين : النظم الإسلامية في المغرب ، ترجمة فيصل السامرا وصالح الشماع (بغداد 1952م) ص 249
(3) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 5 / 153
(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 111-112- 155
(5) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ص 74
(6) الحسن، الوزان: وصف افريقية ص 239 .
(7) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 109
(1) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ص 74
(2) ابن حوقل : صورة الأرض ص 99

تلمسان وبعض المدن التي حولها تابعه لسلطان الأدارسة في فاس))[3] ،ولاشك في أن التجارة الخارجية لدولة الأدارسة تطورت بعد أن أنشئت مدينة فاس التي أصبحت مقصد التجارمن كل مكان لذلك حرص الأدارسة على ربط طرق التجارة وسيطروا على مداخل الصحراء من ناحية الجنوب فامتدت مناطقهم مابين سجلماسة والمحيط الاطلسى خصوصا بعد إن انشئوا مدينة تامدلت وجعلوها مركزا للتجارة عبر الصحراء[4]،ويصف المسعودي الطريق الجنوبي المتجهة إلى بلاد السودان عبر تامدلت التي كانت من المدن الهامة التي حرص الأدارسة على إن تكون مركزا مهم للتجارة الخارجية[5]، فقد ارتبطت المدن الادريسية بعلاقات تجارية مع مختلف مناطق التجارة التي كانت تمر عبر مدن الأدارسة ، فقد كانت أسواق المدن الإدريسية مقصد القوافل التجارية من مختلف الأقطار فذكر الجزنائي أن حاضر الأدارسة فاس قد انتقل إليها جملة من أصناف الناس وأهل الأمصار بقصد التجارة فامتلكوا المتاجر فكانت تأتيها السلع والبضائع من مختلف المدن لتصريفها لرواج تجارتها[6] ، وكان تجار بلاد الأندلس يجوبون المدن الإدريسية ويترددون إليها ، حيث اعتاد التجار التردد على مدينة أصيلا التي ازدادت عمارتها بسب وقوعها في منطقة التبادل التجاري فكانت في مقدمة السلع المصدرة إلى بلاد الأندلس الأخشاب والنحاس الأصفر[1]،إلى جانب المنتجات الزراعية خاصة بعد رواج الزراعة في المدن الأدارسة[2]،كما كان طريق الجنوب التي ارتبطت به مدن الأدارسة بطريق بلاد السودان الغربي دور كبير في تصدير الخدم المجلوب من بلاد السودان إلى بلاد الأندلس[3]، وبالمقابل فأن تجار الأندلس كانوا يتاجرون مع مدن المغرب الأقصى بسلع مختلفة كان أهمها الحديد والرصاص والحرير والفضة والكحل والقصدير والكبريت والرقيق الأبيض وغيرها من السلع التي لاقت رواجاً في أسواق المدن الإدريسية[4]، كما أن مدن المغرب الأقصى في زمن الأدارسة ارتبطت بطريق القوافل المتجه إلى بلاد السودان الغربي فكان تجار المدن الإدريسية يصدرون إليها الملح الذي كان سكان بلاد السودان في أمس الحاجة إليه والنحاس الأصفر والمرجان ويستبدلونه بغلات بلاد السودان كالذهب والرقيق وريش النعام والعاج وغيرها من السلع التي لاقت رواجاً في أسواق المدن الإدريسية[5].

وكانت الطرق التجارية المارة بمدن الأدارسة كانت تأخذ طريقها إلى بلدان المشرق فتعددت طرق التجارة التي ربطت مدن المغرب الأقصى ببقية بلاد المغرب ، فقد وصف ابن خزذاذبة الطريق الذي تسلكه القوافل التجارية التي كانت لها علاقات تجارية مع المشرق الإسلامي فكانت

---

(3) ابن خلدون : كتاب العبر 7 / 52
(4) البكري : المغرب في بلاد افريقية والمغرب ص 127.
(5) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر 164/1 .
(6)الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء فاس ص39.

مصر هي حلقة الوصل مع بلاد المشرق الإسلامي سواء كانت تلك القوافل المتجه من بلاد المغرب أو القاصدة إليه[6] .

(1) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ص158.
(2) مؤلف مجهول : الاستبصار ص181 .
(3) القادري، إبراهيم : أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة ، مجلة المناهل العدد 32 (الرباط ،1985م) ص 243 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ص 95 ، كذلك عز الدين احمد : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ص323.
(5) الطيبي، أمين : الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي في القرون الوسطي ،مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، السنة الثانية (طرابلس ، 1980 م) ص 259 ، كذلك البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص127.
(6) سوادي ،محمد : الصلات التجارية بين البصرة والمغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني الهجري ، مجلة المؤرخ العربي العدد 43 (بغداد 1990م) ص 166-160

كما أن ابن حوقل قد وصف تلك المسالك التي كانت ترادها القوافل التجارية المتجه من بلاد المغرب الأقصى إلي بلاد المشرق الإسلامي ، إما أهم الصادرات التي ينقلها التجار ويتاجرون بها مع مدن بلاد المشرق الإسلامي المرجان والعنبر والذهب الذي كان يأتي من بلاد السودان الغربي والنحاس، فضلا عن تجارة الرقيق التي لاقت رواجاً كبيراً فقد صدرت مدن المغرب الأقصى إلي بلاد المشرق الإسلامي الرقيق الأبيض المجلوب من بلاد الأندلس والرقيق الأسود الذي يعاد تصديره إلي بلاد المشرق[1]،كذلك اشتملت السلع المصدرة إلى بلاد المشرق أنواعا من المنتجات الزراعية والمواشي والعسل[2]،الذي اشتهرت به مناطق السوس الأقصى،ولعل أهم الطرق التي سلكها حجاج بلاد المغرب كانت تمر بعدة مدن قبل وصولها إلي بلاد المشرق فتحمل معها العديد من البضائع والسلع ، ويعطيها ابن حوقل بعضاً من السلع التي صدرت من بلاد المغرب الأقصى فيذكر بأن البضائع والسلع تنوعت فشملت المولدات الحسان والعنبر والحرير والأكسية والأنطاع والحديد والرصاص والخدم المجلوب من بلاد السودان الغربي[3] .

ثالثا : النظـم الماليـــة :

نظم ألائمة الأدارسة جباية الأموال على أساس الشريعة الإسلامية وهو ما يؤكده قول ابن أبي زرع عندما وصف ألائمة الأدارسة الثلاث الذين حكموا الدولة الإدريسية في بداية عهدها فقال "الأمير علي بن محمد بن الإمام إدريس الثاني سار على سيرة أبيه وجده في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق" [4]،فقد نهج الأدارسة في معاملاتهم المالية نهج الشريعة الإسلامية ولعل أهم ما يروى عن الإمام إدريس الثاني عندما أسس مدينة فاس "دعا بأن يجعلها الله دار علم وفقه يتلى فيها كتابه وتقام بها حدوده وأجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها"[1].

غيـــر أن المصـــادر التاريخيـــة التـــي تناولـــت تـــاريخ الأدارســـة لـــم تعطـــي إلا إشـــارات بسيطة على نوعية الجبايات التي فرضتها الدولة الإدريسية والتي كان من أهمها :

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ص97.
(2) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص87.
(3) ابن عيشون : الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من أهل فاس ص 74 ، كذلك ابن حوقل : صورة الأرض ص95 .
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 67
(1) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 45
(*) الخراج : لغة يعني الغلة أو الإتاوة والحصة المعينة من المال يخرجها القوم في السنة ،واسم لما يخرج ،والأجرة = ابن منظور:لسان العرب 66/3

1 - الخـــراج[*] :

وهو مقدار محدد من المال أو الغله يفرض على الأرض الزراعية وغالباً ما يكون على مساحة الأرض ويراعى في أخذ الخراج الاعتبارات التي حددت للأرض وحسب طريقة سقيها وتجبى هذه الضريبة بعد نضج المحصول وحصاده [2] ،ويمكن بيان مقدار هذه الضريبة من خلال ما ورد عن الإمام إدريس الثاني أنه كان يجمع كل عام من الجزية ثلاثون ألف دينار زيادة عن الأعشار والزكوات والغنائم[3]، كما أن ابن حوقل وصف إحدى مدن الأدارسة وهي مدينة كرت[*] ،من إقليم طنجة فقال إن جباية خراجها يصل إلى آل إدريس[4] .

2 - الجزيـــــة :

شكلت الجزية مصدر من مصادر المالية للدولة الإدريسية وهي عبارة عن ضريبة واجبة على أهل الكتاب حسب ما وجبها الشرع الحكيم بقوله تعالى " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [5]، وقد كانت هذه الضريبة تفرض في دولة الأدارسة على اليهود الذين استوطنوا فاس في ولاية الإمام إدريس الثاني ، فقد قصدها أعداد كبيرة من اليهود للعمل في النشاط التجاري ولقوا معاملة حسنة من الأئمة الأدارسة حتى أنهم سكنوا في حي عرف بحصن سعدون وقد كان مقدار هذه الضريبة سنوياً يصل إلى ثلاثون ألف دينار [1].

3 - الزكـــاة :

تطبيقاً للشريعة الإسلامية والسنة النبوية فقد فرضت هذه الضريبة استجابة لقوله تعالى " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا"[2] ،وقد تشدد الأئمة الأدارسة في جبايتهم وهي نوعان ظاهرة وباطنه، فالظاهرة هي الزرع والثمار والمواشي والباطنة ما أمكن إخفائها كالذهب والفضة بشرط حلول الحول عليها تؤخذ مرة واحدة كل عام [3] .وكون الأئمة الأدارسة من أهل البيت النبوة فقد حرموا على أنفسهم الاستفادة منها لأن الزكاة محرمة على أهل البيت خاصة ومحللة لسائر المسلمين عامة [4] .

4 - الفئ والغنيمـــة

---

(2) الماوردى ، أبو الحسن على بن محمد : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بيروت، 1985م) ص 120

(3)الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 46 .

(*) مدينة من مدن إقليم طنجة وهي من المدن التي اعتني بها الأدارسة وتقع على سفح جبل كثير الخيرات ولها مزارع واسعة من غلتها القمح والشعير والقطن ، ابن حوقل : صورة الأرض ص 81 .

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ص 101.

(5) سورة التوبة: الآية 39

(1) بشير، عبد الرحمن : اليهود في المغرب العربي (22 هـ - 462هـ) (642 م – 1070م) مركز عين للدراسات والبحوث(القاهرة 2001م) ص 50

(2) سورة التوبة الآية 103

(3) الماوردى : الإحكام السلطانية والولايات الدينية ص 145

(4) سابق، السيد : فقه السنة ، دار الكتاب العربي (بيروت 1987 م) 351/1

فالغنيمة هي ما غلب عليه المسلمون من أموال أهل الشرك بالقتال ويؤخذ عنوة ويشمل على أربعة أقسام هي الأسرى والسبي والأرض والأموال[5] .

أما الفئ فهو ما حصل عليه المسلمون من أموال أهل الشرك بدون مشقة القتال ، وقد كان هذا الصنف مورد هام من موارد الدولة خاصة في فترات الفتوحات والمعارك التي خاضها الأدارسة وقد طبق الأئمة الأدارسة أحكام الدين في توزيعها[6].

5 - الجــزاء والمكــوس[*] :

وقد كانت هذه الضريبة عبارة عن مبلغ من المال مقابل استغلال الأرض للبناء وتكون هذه الأرض ملكاً للدولة وقد ظهرت هذه الضريبة عند تأسيس مدينة فاس بعد اكتمال بناء سورها وقد قال الإمام إدريس من ابتنى جداراً أو غرس غرساً فهو ملك له أما من بني بعد إتمام السور فقد فرضت عليه هذه الضريبة وقد ظهرت مجموعة من الدور والحوانيت في مدينة فاس كانت تؤدي هذه الضريبة مثل جزاء بن أبي عامر وجزاء برقوقه وجزاء بن زكوان[1] ، مع اتساع رقعة الدولة وازدهار حركة التجارة والتعدين فيها فقد فرض الأئمة الأدارسة ضريبة على الأسواق والبضائع الداخلة والخارجة والمارة بمدن الأدارسة ، فقد كان يعين مسئول يتولى جمع وحصر البضائع المارة بالمدن حسب ما يذكره ابن حوقل في حديثة عن سجلماسه أثناء حكم بني مدرار أنه فرضت على القوافل التجارية الخارجة إلى بلاد السودان عشر ما يباع ويشترى من الإبل والغنم والبقر وما يخرج عنها ويدخلها في نواحي أفريقية وفاس والأندلس والسوس وأغماث[2]. كذلك فرضت ضرائب على استغلال المناجم كمناجم الفضة والنحاس والحديد وأوكل ذلك للأفراد والجماعات مقابل ركاز يقدر بخمس الإنتاج[3].

6 - سك العملــة

يعتبر سك النقود الواجهة الحقيقية لأي نظام اقتصادي ، إذ يتوقف على قيمة هذه السكة وقوتها الشرائية الحكم على مدى الاستقرار الاقتصادي للدولة وحظها من الرفاهية والتقدم ويعرف أن بن خلدون السكة ((بأنها الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش عليها ظاهره مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسك مرة أخرى وبعد تقدير

---

(5) الماوردى : الإحكام السلطانية والولايات الدينية ص 125

(6)المصدر نفسه: ص 121

(*) المكس : هي دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق التجارية وكل من باع شيئا اخذ منه الخراج أو العشر أو المكسٌ = ابن منظور : لسان العرب 220/6

(1) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 26

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ص 99

(3) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري 73

أسخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وأن لم تقدر اسخاصها يكون التعامل بها وزنا))[1]، وكانت أول عملة عربية إسلامية قد ظهرت في بلاد المغرب في ولاية موسى بن نصير سنة (72هـ/711م)) كتعبير لكيان دولة عربية إسلامية في بلاد المغرب[2]،وبما أن العملة من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والرعية والتجار بصفة خاصة،لذلك قام الإمام إدريس الأول بسك العملة الإدريسية التي تسمى الدرهم [3]،وقد كانت العملة الأدريسية المغربية تقوم على أساس معدن واحد هو الدرهم الفضي ويعود السبب في ذلك إلى توفر مناجم الفضة في الحاضرة الإدريسية فاس وبعض المدن الأخرى كتدغة ووزيز اللتان اشتهرتا بهذا المعدن[4]،غير أن أقدم الدراهم الإدريسية التي خرجت في ولاية الإمام إدريس الأول كانت قد ضربت في وليلى وتدغة وحملت تواريخ ضربها (181هـ/897 م)(183 هـ/799م)،وفي ولاية الإمام إدريس الثاني ضربت في فاس كمركز لسك العملة حتى سنة(197هـ/ 812م) ويظهر أسم دار الضرب باسم العالية[5]،وحسب المصادر التاريخية فقد حوت كل من عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين دار لسك الدراهم[6]،وقد كانت الدراهم الأدريسية تقليدا للعملات الإسلامية في المشرق فقد نقش عليه بالخط الكوفي على نفس الطراز الذي كان معروفاً في النقود الأموية والعباسية ويغلب على خططها الخط الكوفي[7]،كانت الدراهم الإدريسية منتشرة ومتداولة في أرجاء الدولة الإدريسية ولها قوى شرائية، وكدليل على مدى انتشار تلك العملة ما روي عن أن الأمير الأغلبي قد بعث إلى الخليفة العباسي كيساً فيه ألف درهم مضروبة باسم الإمام إدريس الأول ليعلمه مدى انتشار نفوذ الأدارسة في المغرب[8]. أماعن قوتها الشرائية، فقد أوردت بعض المصادر أسعار السلع يمكن من خلالها قياس وتحديد قيمتها :

فقد بلغ ثمن الكبش درهم ونصف والبقرة أربعة دراهم .

وبلغ سعر وسق القمح درهمين ووسق الشعير درهم .

على أن هذه الأسعار التي وردت تبين مدى الرخاء الاقتصادي للدولة الإدريسية وبينت قيمة الدرهم في السوق ، رغم أنها محددة في عهد الإمام إدريس الثاني وهو ما أورده أبن زرع بعد إن

---

(1) ابن خلدون : كتاب العبر 1 / 317

(2) السايح ،الحسن : الحضارة المغربية البداية والاستمرار ، منشورات عكاظ (الرباط ، 2004 م) 1/ 168

(3) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 45

(4) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن محمد : المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د ت) ص 88

(5) بروفنسال، ليفى : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد محمود عبد العزيز ومحمد صلاح الدين، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية 1990م) ص 38

(6) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 44

(7) أفا عمر ،و محمد المغراوي : الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق ، مطبعة النجاح (الدر البيضاء ، 2007 م) ص 38

(8) ابن الأبار : الحلة السيراء 1 / 165

اتبعها بعبارة ((دام ذلك خمسين سنة))،وهذا لا يترتب عليه الحفاظ على قيمة العملة ورخص سعر السلع في سنوات الغلاء والقحط[1] .

رابعا : الحركة العمرانية :

1- بناء المدن[*]

أ - مدينة فاس :

بعد أن ترسخت دعائم الدولة الإدريسية وتلقى الإمام إدريس الثاني البيعة من القبائل البربرية عام(188هـ/803م)واستقام له الأمر بعد كثرة الوفود عليه من الأندلس وإفريقية وضيق مدينة وليلي[2]،كان لزاماً عليه إنشاء حاضرة لدولته تكون ذات طابع عربي تستوعب حاشيته والوافدين عليه بعد تزايد أعداده[3]،وقد أجمعت المصادر التاريخية إن الإمام إدريس الثاني هو الذي أسس مدينة فاس على مرحلتين[4]،وقد سبق بناء هذه المدينة في موقعها محاولات سابقة من جانب الإمام إدريس الثاني بناء مدينة بالقرب من جبل زالغ بعد أن أعجبه المكان في ارتفاعه وطيب تربته[5]،فشرع في البناء لكن بناءها لم يكتمل بسبب خرابها نتيجة لهطول أمطاراً غزيرة نتج عنها سيولاً جارفة من أعلى الجبل، هدمت دورها وألقتها في نهر سبو[1]،فأوقف البناء وعاد إلى مدينة وليلي[2]،ثم قام الإمام إدريس الثاني(191هـ/806م) بمحاولة أخرى لبناء مدينة عند موضع يعرف بحمة خولان عند نهر سبو ، فأعجبه المكان لقربه من الماء وبعد تفحص المكان تبين له كثرة المدود الذي يحدثها النهر فخاف على الناس هلاكا، فصرف النظر عن هذا المكان وعدل عن البناء وعاد إلى وليلي للمرة الثانية[3]،بعد فشل تلك المحاولات عدل الإمام إدريس الثاني على اختيار المكان بنفسه، فكلف وزيره عمير بن مصعب الأزدي ليتفحص الأمكنة ويختار مكاناً يلائم إنشاء مدينة تكون حاضرة لدولته، فأخذ الوزير عمير يرتاد الأمكنة والنواحي المجاورة لمدينة وليلي حتى وصل إلى فحص سايس[4]،فأعجبه المكان لكثرة مياه واعتدال مناخه وكثرت مروجه الخضراء،فنزل الوزير عمير عند عين غزيرة المياه توضأ منه وصلى بمن معه صلاة الظهر وطلب من الله أن يهون عليه مطلبه ويحقق مقصده[5]،تفحص الوزير عمير المكان واستطلعه حتى وصل منبع النهر،الذي تحيطه غابات وأشجار الطرفاء والطخش والعرعر والكلخ[6]،شرب من

---

(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 59
(*) ينظر الملحق رقم (1) ص 126
(2) المصدر نفسه: ص 35
(3) محمود، إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ص 59
(4) عبد الواحد، ذنون : التاريخ المغرب العربي ص 207
(5) ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1 / 27
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 36
(2) ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1 / 27
(3) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 37، الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 18
(4) ابن القاضى : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1/ 28
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 37
(6) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 19

الماء فاستطاب طعمه،ونظر إلى الأرض فعجبته فقال(ماء عذب وهواء معتدل وهو أقل ضرراً وأكثر نفعاً وحوله من المزارع أكثر ما حول نهر سبو)[7]،وما زال يتفحص المكان ويستطلعه حتى عرف أنه ملك لبعض قبائل زناته(زواغه وبني يزغتن)ويعرفون ببني الخير[8]،رجع الوزير عمير بن مصعب إلى الإمام إدريس الثاني وأخبره بمواصفات المكان الجديد،حتى خرج الإمام بنفسه ليطلع بنفسه عليه فوجد القبيلتان في قتال بينهم بسبب الاختلاف على حدود تلك الأرض، وقيل بسبب اختلاف أهوائهم[1]،بعث الإمام إدريس الثاني إلي القبيلتان فأصلح بينهم ،ثم أشترى[*]،منهم تلك الأرض وقد كتب عقد الشراء كاتبه الفقيه عبدالله بن مالك الخزرجي الأنصاري[2]،بدأ العمل في بناء المدينة الجديدة في يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة (192هـ/808م)[3]، فكانت أول الأوامر التي أعطاها الإمام إدريس الثاني هو بناء السور الذي بدأ فيه من جهة القبلة وفتح فيه باباً سماه باب القبلة تم مر بالسور حتى الموضع المعروف بالفوارة وموضع زيتون بن عطية وفتح فيه باباً سماه باب الفوارة تم مر على الموضع المعروف بالمخفية إلى الوادي وفتح فيه بابً سماه باب المخفية وعند موضع الشيبونه فتح باباً سماه باب الشيبونه ،تم مر بالسور إلي رأس حجر الفرج وفتح فيه باباً سمي بباب أبي سفيان، تم مر بالسور إلى إن وصل إلى جرواوة وفتح هناك باب سماه باب الكنيسة[4]،وبعد إن أتم السور شرع في بناء الجامع قرب رحبة البئر والذي عرف بجامع الأشياخ وأقام فيه الخطبة وقد ضرب الإمام إدريس اخبيته وقبابه بالموضع الذي عرف بجرواوة وقد سمي هذا الجزء من المدينة فيما بعد باسم عدوة الأندلسيين نسبة إلى القبائل الوافدة عليه من الأندلس فأسكنهم فيها وقد كانوا يقدرون بثمانية الآف أسرة[5]،وبعد عام تقريباً من بناء عدوة الأندلسيين ، شرع الإمام إدريس الثاني في شهر ربيع الآخر سنة(193هـ/808م)في تشييد مدينة جديدة مواجهة للعدوة الأولى على الضفة المقابلة لنهر فاس ، فقد أقام الإمام إدريس الثاني في مكان يعرف بالمقرمدة والتي عرفت بدار القيطون ومن منطقة عين علوان[*]،ومنه بدأ يعطي أوامره ببناء السور يحيط بالعدوة وفتح فيه عدة أبواب[1]، وقبل إتمام بناء السور أعلن الإمام إدريس الثاني على الناس(من أنشأ موضعاً وغرسه قبل إتمام السور فهو له هبه ابتغاء وجه الله تعالى) وشرع الناس

---

(7) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 38

(8) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 13

(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص39

(*) اختلفت المصادر في تحديد ثمن الأرض فذكر ابن أبي زرع إن ثمن الأرض ستة آلف درهم ثم أعقبها برواية أخري انه اشتري ارض عدوة الأندلسيين بألفي وخمسمائة درهم = ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 39 ، بينما ذكر الجزنائي إن ثمن الأرض بلغ ستة آلف درهم دفعه كاملاً= الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 19 ، وذكر ابن عذاري إن الأرض التي بنيت عليها المدينة كانت ملك لقبيلة زواغه تنازلت عنها إلى الإمام إدريس دون ثمن = ابن عذاري : البيان المغرب 212/2 ، وذكر الناصري ان ملك الأرض كانت لقبيلة زواعه وبني يرغش وان الثمن كان ستة الالف درهم دون تحديد نصيب كلا من القبيلتين = الناصري : الاستقصاء ، 72/1

(2) الجزنائى : جني زهرة الآسن في بناء مدينة فاس ص18

(3) الكتانى : سلوة الأنفاس محادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1 / 75

(4) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 26

(5) إسماعيل، العربي : دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ص 82

(*) تنسب هذه العين إلى رجل اسود يسمي علوان كان يقطع الطريق ويهدد المارة فلم وصل أمره إلى الإمام إدريس الثاني أمر بالقبض عليه وفبض عليه وصلب على شجرة كانت على العين فسميت بعين علوان .ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 48

(1) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 26

في البناء وغرس الأشجار[2]، فكان الرجل يختط داره ويقطع الخشب منه ويستعمله في البناء دون أن يحتاج إلى خشب آخر [3] ، وقد كانت هذه المدينة عبارة عن عدوتين حصينتين مصورتين يفصل بينهما الوادي الكبير الذي يدخل عدوة القرويين من ناحية باب الحديد بواسطة شبابيك من خشب الأرز مزودة بسلاسل حديدية [4].

وما إن فرغ الإمام إدريس الثاني من اختطاط المدينة حتى قام بتنظيم وتوزيع سكانها عن طريق تقسيم الاراضى على قبائل العرب والبربر المقيمين والوافدين عليه فانزل العرب القيسية بالقرب من الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين من باب إفريقيه إلى باب الحديد وانزل الازد بجوارهم وانزل اليحصبيون على الجهة المقابلة للقيسية وانزل القبائل البربرية بكل ناحية[5].

وقد حرص الإئمه الأدارسة على حفظ التوازن داخل المدينة بعدوتيها فشجعو الهجرات العربية إليها من القيروان والأندلس[6]، ونزل الإمام إدريس الثاني ومعه جنوده وقواته وماله ومواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع في عدوة القرويين[7] ، أما عن تخطيط المدينة فقد انتشرت الدور والحارات على جوانب العدوتين التي سميت بأسماء قبائل وغيرها مثل حارة لواتة وحارة الربط وحارة ابن برقوقه وحارة ابن أبي عامر والجرف الأحمر فأتصل البناء ببعضها وقد كانت دور المدينة أكثرها من طابقين وأكثر بسبب توفر مواد البناء من أخشاب وغيرها ، وقد اهتم سكان المدينة بنظافة مدينتهم وحرصوا على جمالها فقد زرعوا جوانب القنوات بصنوف الأشجار والبساتين وحافظوا عن نظافة شوارعها وأسواقها بالماء من النهر فتغسل لحرصهم على النظافة[1]، كما ظهرت القناطر التي ربطت ما بين العدوتين وفي هذا يقول صاحب كتاب الاستبصار(وبين المدينتين أي العدو تين قناطر كثيرة تطرد فيها جداول ماء لا تحصي)[2] .

تسمية المدينة :

تعددت الروايات حول سبب تسمية المدينة وحول اشتقاق اسم فاس ونذكر عدة روايات منها :

الرواية الأولى :

عندما شرع الإمام إدريس الثاني في بناء المدينة كان يعمل مع الصناع والفعلة فصنع له بعض الناس فأساً من ذهب[3]، وقيل من فضة [4] ، فكان الإمام إدريس الثاني يمسكه فيجهز به الأساسات ولكثرة تردد كلمة فاس أثناء البناء أطلق على المدينة اسم فاس بدون همزة [5] .

---

(2) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 47
(3) ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1 / 32
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 55
(5)المصدر نفسه: ص 56
(6) محمود، إسماعيل : الأدارسة حقائق جديدة ص97
(7) ابن أبى زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 50
(1) ابن حوقل : صورة الأرض ص 98 – 91
(2) مؤلف مجهول : الاستبصار ص 192
(3) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 23

الرواية الثانية:

وتقول الرواية الثانية التي أوردتها بعض المصادر التاريخية أنه عندما شرع في حفر الأساس من جهة القبلة عثر على فأس كبيرة طولها أربعة أشبار وسعته شبر واحد ووزنه ستون رطلاً فسميت فاس نسبة إلى ذلك الفأس بعد أن أسقطت الهمزة لكثرة الاستعمال [6].

الرواية الثالثة :

وتذكر هذه الرواية جماعة من الوافدين على الإمام إدريس الثاني وكان من الفرس الوافدين عليه من العراق نزلوا مع الإمام إدريس وفي أثناء عمليات الحفر والبناء سقط عليهم جرف فمات معظمهم ولم ينج منهم إلا القليل ، فسميت مدينة الفرس ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فارس ثم اسقطوا الراء من اللفظ فقالوا مدينة فاس[1].

الرواية الرابعة :

يذكر أن الإمام إدريس الثاني عندما شرع في بناء المدينة قال له الناس كيف نسميها فقال : سموها بإسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر عليهم رجل فسألوه عن أسمه وكان ألثغ فقال لهم أسمي فارس فأسقط الراء فقال الإمام إدريس الثاني سموها كما نطقها فقالوا فاس[2].

الرواية الخامسة :

تذكر هذه الرواية بأن راهباً أخبرهم بأن في مكان البناء كانت هناك مدينة أزلية من بنيان الأوائل خربت قبل ألف عام وكان أسمها ساف فقلبوها وسموها فاس[3].

الرواية السادسة :

فقد ذكرها الحسن الوزان حيث ذكر أن اليوم الأول الذي حضرت فيه الأرض لبناء الأساسات عثر على كمية كبيرة من الذهب الذي يحمل حسب رأيه بالعربية اسم فاس ، رغم أن هذه الرواية لا تستقيم مع أسم الذهب في معاجم اللغة [4].

وفضلاً عن تلك الروايات التي ذكرتها المصادر التاريخية فقد ذكرت بعض الروايات الأسطورية نذكر منها أن يهودياً حفر أساس داره ليسكن فيها فوجد دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند(هذا موضع حمام عمر 1000 سنة ثم خرب فأقيم في موضعه بيعة للعبادة) [5].

---

(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 54
(5) ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1/ 30
(6) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 24
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 54
(2) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا 5 / 853
(3) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 23 ، وكذلك محمد بن علي : المرجع السابق ص100
(4) الحسن، الوزان : وصف افريقية ص224
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 46

كما أن المصادر تذكر رواية أخرى مفادها أن راهباً من رهبان النصارى أخبر الإمام إدريس الثاني عندما عزم على بناء المدينة بأن راهباً أخر أخبره منذ مائة سنة أنه وجد في كتاب علمه بأن في هذا الموضع كانت مدينة تسمى ساف خربت منذ ألف وسبعمائة سنة ، وأنه يجددها ويحي دائرها رجل من آل بيت النبوة يسمى إدريس يكون لها شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين الإسلام قائم بها إلى يوم القيامة فقال له إدريس وأنا من آل بيت النبوة وأنا بانيهاإنشاء الله[1].

ويتضح من تلك الروايات إدخال الأسطورة والخيال على سبب التسمية ويظهر ذلك من خلال قولهم وقيل ، ويتضح من هذا السرد التاريخي أن مدينة فاس كان في عهد الأدارسة عبارة عن مدينتين مستقلتين تم تأسيسهما على يد الإمام إدريس الثاني في فترة استغرقت ما يقرب من عام كامل[2].

أما عن التسمية التي طرحها بعض الباحثين حول وجود اسم جديد لفاس وهو اسم العالية ، فلم نجد في المصادر التاريخية التي اعتنت بتاريخ الأدارسة أو المصادر الناقلة عنها هذا الاسم سوى في العملة المضروبة التي تحمل أسم العالية وقد ضربت هذه العملة الإدريسية سنـــة (198 هـ) ، غير أن ليفي بروفنسال طرح مفهوم لهذا الاسم بتفسيرات مختلفة منها أنها ذكر تحريفاً لكلمة العلوية أو أنها تعني الحظرة العلية ويذكر أن أسم العالية كان قاصرا على العدوة الغربية من المدينة منذ تأسيسها[3]، وخلافاً لذلك يعتقد إن اسم العالية كان اسماً جامعاً للعدوتين يضرب على الدراهم الإدريسية في كلا العدويتن فقد كان لكل عدوة دار لسك العملة[4] . ورغم اختلاف المراجع الحديثة في اسم مؤسس المدينة إلا أنها اتفقت على مجموعة من النقاط :-

أولا : أجمعت المصادر التاريخية أن مدينة فاس كانت عبارة عن عدوتين تم تأسيسهما في فترة استغرقت ما يقرب من عام (192 هـ/ 808 م) (193هـ/809 م)[1] .

ثانيا : لم تظهر المدينة بكامل مرافقها إلا بعد توالي الهجرات إليها من إفريقيه والأندلس وهو ماحدث في عهد الإمام إدريس الثاني [2] .

لقد أوضحت المصادر التاريخية عن اسم منشئ فاس فأكد اليعقوبي الذي كتب عن المدينة في أواخر القرن الثاني الهجري إن إدريس الثاني هو من حكم المدينة وتوارث أبنائه من بعده حكمها ويسميها مدينة افريفيا ويسمي نهرها نهر فاس [3]، كما ذكر ابن حوقل في فترة متأخرة أن مدينة

---

(1) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 23
(2) المصدر نفسه: ص 24 - 25
(3) ليڤي، بروڤنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ص 16 – 20
(4) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 52
(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 115 ، كذلك الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 24 – 25 .
(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 35 .
(3) اليعقوبي : البلدان ص72

فاس أحدثها إدريس بن إدريس[4]،وقد أوضحت بعض المصادر الجغرافية التي تناولت تأسيس البلدان أن مدينة وليلي كانت حاضرة دولة الإمام إدريس الأول دون ذكر ولو بالإشارة إلي مدينة فاس في عهدة [5].

ب ـ مدينة البصـرة :

وهي من المدن الهامة التي اعتنى بها الأدارسة ، فقد بنيت في أواسط القرن الثالث الهجري من قبل الأمراء الأدارسة ،وهى تقع على الطريق التجاري الذي يربط فاس ومدينه طنجة ، بين مدينة أصيلا ومدينة العرائس على مسافة ثلاثة مراحل من مدينة فاس[6]، ويصف موقعها الاصطخرى فيقول ((بحذا جبل طارق وبين الجزيرة المذكورة عرض البحر أثناعشر ميلاً)) [7] ،وقد عرفت مدينة البصرة بعده أسماء،فسميت مدينة الحمراء لاحمرار تربتها وسميت ببصرة الكتان لانتشار زراعه الكتان فيها ولان سكانها كانوا يتاجرون ويبتاعون به[8]، وسميت ببصره الذباب لكثرة ألبانها[1] ، كانت البصرة أحدى المدن التجارية الهامة في دولة الأدارسة كونها تقع على الطريق التجاري الثاني الذي يربطها بسبته، ويحدد البكري مسافة هذا الطريق بأربع مراحل[2] ، كذلك عرفت مدينة البصرة النشاط الزراعي وتربية المواشي فهي تحيط بها السهول والأودية وموصوفة بالخصب وكثرة الخيرات فيقول عنها ابن حوقل ((مدينة البصرة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين ولها غلاة كثيرة من القطن والقمح والشعير والقطاني)) [3] .

كذلك انتشرت حولها المراعي فأهتم سكانها بتربية المواشي وملكوا إعداد كبيرة منها واشتهرت بإنتاج الألبان حتى عرفت ببصرة الذباب لكثرة ألبانها كما إن مدينة البصرة اشتهرت بجمال نسائها فيقول البكري((ليس بأرض المغرب أجمل منهن)) [4].

كانت مدينة البصرة في بداية عهد دوله الأدارسة من نصيب الأمير يحيي بن إدريس الثاني عند تقسيم دولة الادارسه من قبل الإمام محمد بن إدريس الثاني(221-213هـ/828-836م)[5]. وأول من ملكها الأدارسة كان الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس تولها مدة أربعين سنه[6] . والي جانب شهرتها بالإنتاج الزراعي والنشاط التجاري ، فقد أنيط بمدينة البصرة في المرحلة الثانية من تاريخ

---

(4) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص 81 ، كذلك المقدسي محمد بن أحمد:أحسن التقاسيم في معرفة الإقليم ، مطبعة ليدن (بيروت ، 1904م) ص 231 .
(5) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 55 .
(6) الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص 108
(7) الاصطخرى : المسالك والممالك ص80.
(8) الحموي : معجم البلدان 44/1.
(1) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ص109
(2) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 110
(3) ابن حوقل : صورة الأرض ص80
(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 142
(5) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 63
(6) أبو الخليل ، محمد بن إبراهيم : الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275- 300هـ / 888- 912م) مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز (الرياض ، 1995م) ص 383

دولة الأدارسة دور سياسي كبيرة ، فقد تحولت إلي مركز لتجمع الأدارسة بعد خروجهم من فاس سنه (313 هـ / 925 م) ومطارده موسي بن أبـي العافية لهم،فكانت البصرة بمثابة العاصمة لهم ومكان نشاطهم الرئيسي[7] ، وشهدت نشاط أخر الأئمة الأدارسة الحسن بن كنون (343هـ 364 هـ /954 م 974 م) حتى سقطت في يد الخليفة الأموي الحكم المتنصر(350هـ - 366هـ/ 961 م 976 م) سنه (362 هـ/ 973 م)[1].

جـ ـ مدينة أصيــلا:

قامت هذه المدينة على أنقاض مدينة أزليه ، وهي أول مدن العدوه من جانب الغرب وتقع في سهل كان ملكا لقبيلة لواته وتبعد عن البحر مسافة ميل[2] ،ومدينه أصيلا تقع في ارض مستوية منبسطة تحيط بها التلال والمحيط الأطلسي من الغرب وهي مدينة آهله بالسكان كثيرة الخيرات والخصب[3]،ولها مرسى ترسوا فيها السفن ويوصفها البكري فيقول ((ومرساها مأمون والمدخل إليه من الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجنوب جسر من الحجارة تحمى السفن المرساة وقت هيجان البحر))[4].

واشتهرت مدينة أصيلا بإنتاجها الزراعي ونشاطها التجاري فكانت لها سوق جامعة تقام في المناسبات الدينية ثلاث مرات في السنة ، وذلك في شهر رمضان وفي عشر من ذي الحجة وفي عاشوراء وهو وقت اجتماعهم وقد قصدها الناس بأنواع السلع من مختلف الجهات ، وقد كانت مدينه أصيلا من المدن الهامة في دولة الأدارسة ،استقر فيها. الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس الثاني فاهتم بها ومصرها وبني سورها الذي كان له خمسة أبواب وأنشى بها جامع به خمسة بلاطات[5] ،كما أقيم على بابها رباط لرد غارات النورمان[*].

ثم أمر المدينة إلى الإمام الحس الحجام الذي استعمل عليها الولاة ثم وليها ابنه الأمير الحسين مدة خمس وعشرين سنة وبقي الأدارسة يتولون أمرها حتى سقطت دولتهم[1].

د ـ قلعة حجر النســر:

إلى جانب المنشآت والمباني المدنية[*]، شيد الأدارسة قلاعا وحصونا استخدموها في حالة الحرب ، وكان من بينها ، قلعه حجر النسر وهي عبارة عن حصن منيع على قمة جبل شاهق

---

(7) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 17
(1) عبد العزيز، فيلالى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ص 197
(2) ابن عذارى : البيان المغرب 1/ 232
(3)مؤلف مجهول : الاستبصار ص 139
(4) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 111
(5) الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص 42
(*) يذكر ابن عذاري إن المدينة قد تعرضت للغزو من قبل النورمان المجوس فأجتمع إليهم البربر لقتالهم فقالو لهم النورمان إنما جئنا لاستخراج أموال وذخائر لنا دعونا نستخرجها ونشاطركم فيها فرضي البربر أول الأمر إلا أنهم زحفوا عليهم فهرب المجوس إلى مراكبهم ومنذ ذلك الوقت اتخذها الناس رابطا . ابن عذاري : البيان المغرب 1/ 223
(1) سعدون، نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 187

الارتفاع تحيط به صخور وعرة ، وهو يقع في منطقة جبال الريف إلى الجنوب الشرقي من مدينة البصرة ، وعلى مسيرة ثلاثة أيام من مدينة سبته[2] ،وقد بني هذه القلعة الأمير إبراهيم بن محمد القاسم سنه(317هـ/929م) [3] ،وقد اختير ذلك المكان بعناية،بحيث شكلت التضاريس الطبيعية لتلك المنطقة تحصينا طبيعيا وقد كان لتلك القلعة ممرا ضيق يسمح بمرور رجل واحد مما يتيح للمكان مميزات دفاعيه شيد هذا الحصن الأمير إبراهيم بن محمد بعد تقلص نفوذ الأدارسه في مناطق المغرب ليكون حصنا يلجأ إليه الأدارسة عند الشدائد[4]، تحولت قلعة حجر النسر إلي مركز مهم بالنسبة للأدارسه في فتره صراعهم مع موسى بن أبي العافية الذي سيطر على فاس وأجلاهم إلي قلعة حجر النسر وشدد عليهم الحصار ، ومنها انطلقت هجمات الأدارسة لإستعادة نفوذهم في مناطق المغرب[5].ثم تحول هذا الحصن إلى مركز العمليات في عهد الإمام الحسن بن كنون، فقد كان المكان الذي لجأ إليه بقواته وقد دافع عنه بأستماته إلى أن وقع في يد الأمويين سنه (364 هـ / 974 م) فكان آخر المعاقل التي احتفظ بها الأدارسة [6].

2- المساجد

أولت الشريعة الإسلامية اهتمام خاص بالمساجد فوصفت بأنها بيوت الله ، وقد أضافها الله إلى نفسه وذاته قال تعالى ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ))[1] .

وقد أصبحت المساجد النواة الأولى في تخطيط المدن ، فهو المركز الرئيسي لتعليم مبادئ الدين الإسلامي والفقه إلى جانب كونه مكانا لتأدية العبادة [2]،وقد حرص الأئمة الأدارسة على تشيد المساجد في كل المدن التي انتشر نفوذهم فيها ولعل أول الأئمة الأدارسة الإمام إدريس الأول فقد حرص على ترسيخ المفهوم الإسلامي في نشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد المغرب فكان المسجد الذي أسسه في مدينه تلمسان شهر صفر سنه(174هـ/790م)،وقد نقش على منبره[*]((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمره الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنة)) [3] ،كما إن الإمام إدريس الثاني عند تخطيطه لبناء مدينة فاس شرع في تشيد المساجد فيها فعند بنائه لعدوة الأندلسيين اشرف بنفسه علي بناء جامع الأشياخ والذي كان مكون من

(*) اهتم الأدارسة بالمباني وإنشاءُ العديد من المدن في المناطق التي خضعت لهم وكان حرصهم على ذلك هو رغبتهم في نقل سكان تلك المناطق إلى التحضر والاستقرار ومن بين تلك المدن مدينة الأقلام التي بناءها الأمير الإدريسي يحيى بن إدريس والتي وصفها ابن حوقل فقال (مدينة تقع بين جبال شامخة عالية لها مدخل واحد وعليها سور وبها مياه كثيرة وجامع آل إدريس = ابن حوقل : صورة الأرض ص : 55

(2) حركات، إبراهيم : المغرب عبر التاريخ ، دار السلمي (الدار البيضاء ، د ت) 134/1 – 135

(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص 137

(4) سعدون ،نصر الله : تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة ص 188

(5) إسماعيل، العربي : الأدارسة حقائق جديدة ص 161 -164

(6) عبد العزيز، فيلالى : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ص 209 .

(1) سورة التوبة: الآية 18

(2) عثمان، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، مطبعة عالم المعرفة (الكويت، 1988 م)ص211

(*) انظر الملحق رقم (3) ص 128

(3) التازي ،عبد الهادي : التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور ، مطبعة فضالة (الدار البيضاء ، 1987م) 5/4

ست بلاطات سنه (192هـ /808 م) قرب رحبة البير، كذلك شيد في عدوة القرويين في عام(193هـ/809 م)مسجدا عرف بمسجد الشرفاء وعندما سكنت المدينة وحال اكتمال بنائها صعد المنير وخطب في الناس ودعا الله بقوله((اللهم وفق سكانها وقاطنها للخير،وأعينهم عليه وأكفهم مؤونة أعدائهم،وأدرر عليهم الأرزاق واغمد عنهم سيف الفتنة والنفاق))[4]،وقد انصرف بعض الأمراء إلى التعبد والزهد في الأمارة والحكم ومنهم الأمير الإدريسي القاسم بن إدريس الذي بنى جامعا في مدينة تادهرت(*)،بالقرب من مدينة أصيلا[5]. كما بني الأمير أبو العيش عيسى بن إدريس جامع في مدينة جراوة التي أسسها سنة(257 هـ / 870م) وكان يتألف من خمس بلاطات [1]، وحرصت بعض القبائل البربرية التي كانت تحت نفوذ الأدارسة على تشييد المساجد كقبائل لواته وكتامة وقبائل بنوريا الصعواريين في مدينة أصلا.

ومع تطور وازدهار الحاضرة الإدريسية فاس وازدياد عدد سكانها وكثرة الوافدين عليه أصبحت الحاجة ملحه لبناء مساجد جديدة لتستوعب عدد المصلين في مدينه فاس[2] ،وكان من أهم تلك المساجد .

أ- جامع القرويين

صاحب النهضة العمرانية التي شهدتها دولة الأدارسة في عهد الإمام يحيي بن محمد بن إدريس الثاني (234 هـ/ 848 م) بناء المساجد لتلبي حاجة المصلين الذين ازدادت أعدادهم مع ازدياد حجم مدينة فاس وكثرة الوافدين إليها من كل أنحاء المغرب[3] ،

وتذكر المصادر التاريخية أن إنشائه كان من قبل سيدة فاضلة من أحدى الأسر القيروانية الوافدة على مدينة فاس وتدعى أم البنين وأختها مريم ، كانت قد ورثت أموالا طائلة من زوجها ، فعزمت على أنشاء مسجدا للمصلين ، فاشترت موضع الجامع وكان في أحد الحقول القريبة من مدينة فاس وقد حرصت تلك السيدة على إن لا تنفق على هذا الجامع إلا أموال نظيفة لا تنالها شبه،

فشرع في بناءه يوم السبت في أول شهر رمضان (245 هـ / 859م) وقد استخدمت مواد البناء من نفس المكان[4] .

وكان تصميم الجامع مربعا على نحو ما عرف في معظم المساجد الأولي فبلغت مساحته يوم بنائه أربع بلاطات أفقية تمتد من الشرق إلى الغرب موازية للجدار القبلة ويبلغ طوله مئة وخمسين

---

(4) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص26
(*) قرية كبيرة عامرة بها ملاحة بينها وبين البحر نصف ميل = البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ص 113
(5) ابن خلدون : كتاب العبر 14/4

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 142
(2) ابن عذارى : البيان المغرب 1 / 233
(3) التازي، عبد الهادي : جامع القرويين ، دار نشر المعرفة (الرباط ، د. ت) ص 41 – 42
(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 66

شبرا ، وكان عرضه اكبر من طوله ، وبنت فيه صومعة غير مرتفعه لتناسب حجم البناء وكان عدد أبوابه : بابان متسامتان ، احدهما في اتجاه باب ابن صيون شرقا ،والثاني في اتجاه باب الكتبين غربا ، والبابان الباقيان ينفتحان على الجهة الشمالية من جهة الصحن[1].

ب - جامع الأندلسيين

شاركت مريم بنت محمد بن عبد الله الفهرى أختها في حركة بنا المساجد التي شهدتها فاس في عهد الإمام يحيى بن محمد وبمشورته ورعايته شرعت مريم الفهرية في بنا الجامع الأندلسيين في سنة (245 هـ / 859 م) بعد إن اشترت مكان البناء بوجه صحيح وأنفقت عليه الأموال التي ورثتها عن أبيها[2]،وقد شارك في بنائه بعض الأندلسيين المقيمين بجانبه لهذا سمى بجامع الاندليسسن ، وكان هذا الجامع يتألف من ست بلاطات وله صحن فسيح وبه أصول من أشجار الجوز وغيره ويتزود بالماء عن طريق ساقية غزيرة عرفت بساقية مصمودة ، وقد نقلت إليه الخطبة من جامع الأشياخ في الفترة التي سيطر فيها الفاطميين على فاس وهي الفترة التي تولى فيها الأمير حامد بن احمد الهمذانى مقاليد الأمور في فاس سنة(321 هـ/ 933م)[3] ،فكان جامع الأندلسيين توأم لجامع القرويين الذي كانت تعقد فيه حلقات الذكر والدراسة وأصبح منبر لنشر الإسلام واللغة العربية في المغرب الأقصى[4] .

3 – الحمامـــات :-

كانت الحمامات منتشرة في اغلب حواضر العالم الإسلامي وقد كان إنشائها خدمة للناس ولسد حاجات وظيفية ومرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر، وكذلك لعدم قدرة الكثير من الناس على أن يكون في دورهم حمامات خاصة بهم[1] ، لقد أهتم الأئمة الأدارسة منذ أنشاء دولتهم على تشيد العديد من هذه المرافق العامة ، فحينما شرع الإمام إدريس الثاني في أنشاء حاضره دولته فاس كان من ضمن المنشآت عددا من الحمامات[2].ومع تطور دوله الأدارسة وازدهار حركه العمران والتجارة فيها فقد أخذت إعداد الحمامات تتزايد خدمة للسكان والوافدين من الخارج خاصة في عهد الإمام يحيى بن إدريس الذي أهتم بإنشاء العديد منها لاسيما مدينة فاس التي شهدت تطورا ملحوظا في عهده ، ولعل هذه النهضة العمرانية قد شملت العديد من المدن الإدريسية[3] ، مما دعي الأفراد

(1) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 81
(2) الكتاني : سلوة الأنفاس محادثة بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1 / 91
(3) محمد، عبد الستار : المدينة الإسلامية ص 221
(4) عبد الهادي ، التازى : جامع القرويين 1 / 112
(1) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 26
(2) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 29
(3) محمد ،عبد الستار : المدينة الإسلامية ص222

والقبائل ان يمتلكونها رغبة منهم في استثمار أموالهم لما تدر عليهم من أرباح ، ويسرد لنا ابن أبى زرع بعض الحمامات الخاصة التي امتلكها أشخاص وقبائل مشاركة منهم في التطور العمراني في مدينة فاس وخارجها ومن هذه الحمامات حمام جرواوه ، وحمام اشنيخان وحمام الكلدان وحمام الجزيرة بعدوه الاندلسين حمام الأمير وحمام الرياض بعدوه القرويين وحمام قرقف وحمام الرشاشة [4] .وبعدد بعض المؤرخين حمامات[*]، فاس ومنهم البكري الذي ذكر بأن في فاس وحدها نحو عشرين حماما، ويعدد الحمامات التي انتشرت في المدن الإدريسية فيذكر أن في مدينة تامدلت والتي أسسها عبد الله بن إدريس حمامات كانت تقدم خدماتها لأهل المدينة وسوقها، كما عرفت مدينة جرواه عدد من الحمامات فقد كان بها خمس حمامات تقدم خدماتها لأهل المدينة[5] .

وقد خصصت للنساء حمامات خاصة في أوقات محددة ، وقد ارتبطت هذه الحمامات بالمظاهر والمناسبات الاجتماعية فكانت مظهرا من مظاهر الترابط الاجتماعي[1] .

كذلك استغل الأدارسة بعض الحمامات والعيون في مدينة فاس التي تميزت بمياها الساخنة لغرض العلاج والاستشفاء مثل حمة وشتاته وحمة يعقوب وحمه خولان[2] .

4 - الفنـــــادق:-

كان لازدهار الحركة التجارية والعمرانية التي شهدتها دولة الأدارسة دور كبير في انتشار الفنادق في المدن والمراكز التجارية التي تمر بها طرق التجارة ، وقد اهتم الأدارسة بإنشائها دفعا للعمران ورغبه في الاستثمار[3] .وقد ازدهرت الحركة العمرانية في دولة الأدارسة خاصة في عهد الإمام يحيى بن محمد بن إدريس الثاني (234 هـ /848 م) الذي شهدت في عهدة عدة أنشأت فكان للحاضرة الإدريسية فاس النصيب الأكبر من تلك المباني .وقد وصف ابن خلدون فاس في عهد الإمام يحيي بقوله ((واستجدت فاس في العمران))[4] .ولما كانت الحركة التجارية نشطة في الدولة الأدريسية مما استدعي الأئمة الأدارسه بناء الفنادق في مختلف المدن خدمةً للتجار وإيوائهم وتخزين بضائعهم والمحافظة عليها[5]. ويعدد أبن أبى زرع عدد الفنادق في حاضرة الأدارسة فاس فيقول ((ومن الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء أربعمائة فندق وسبعة وستين فندقا))[6] ،وقد انتشرت الفنادق في معظم المناطق التي ارتبطت بالطرق التجارية فكان التجارة يقصدون هذه

---

(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 57
(*) يذكر بعض المؤرخين إن في فاس وحدها ثلاثمائة وستون حمام بعدد العيون الموجودة فيها = القلقشندى : صبح الإعشى في صناعة الإنشا 156/5
(5) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص116 – 152 ،كذلك ابن عذاري: البيان المغرب 196/1
(1) محمد، عبد الستار : المدينة الإسلامي 223
(2) الجزنائى : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 36
(3) محمد، عبد الستار : المدينة الإسلامية ص 226
(4) ابن خلدون : كتاب العبر 4 / 29
(5) ابن القاضى : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس 1 / 43
(6) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 53
(7) لوتورنو :فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مكتبة لبنان (بيروت ،1967م) ص 41 .

الفنادق لراحة وتخزين بضائعهم قبل نقلها إلى الأسواق وبيعها إلى المتاجر والقيساريات المعدة لتصريف البضائع والسلع [7] .

خامسا : الحركة الفكرية:-

شجع الأدارسة الحركة الأدبية في بلادهم ،وقد حرصوا على تدعيم حركة التعريب التي واكبت الحملات التي قاموا بها لنشر الإسلام في مختلف مناطق بلاد المغرب ، وشجعوا مختلف التيارات الثقافية الوافدة إليهم والتي حملتها الهجرات العربية المتتالية من الأندلس والقيروان والتي استوطنت فاس وغيرها من المدن ، وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية التي إعتنت بذكر بعض أخبار الأدارسة لم تسجل لنا سوى فقرات بسيطة عن النشاط الأدبي للأدارسة إلا أنه قد يكون عامرا بفضل حركه الاستقرار والتقدم الحضاري التي عاشتها الدولة في ظل الأئمة الأدارسة [1].

1 - الخطابـــة

وقد كان الإمام إدريس الثاني هو من وضع الأسس الأولى للحركة الأدبية في دولته ،فقد وصفته المصادر التاريخية بفصاحة اللسان وكمال البيان وهو ما أذهل العقول ،حتى إن الجزتائى وصفه ((فعجب الناس من فصاحته وبيانه ورصانة عقله وبلاغته))[2]،وقد ورد في نص خطبته الأولى عند تلقيه البيعة،((قال الحمد لله احمده وأستغفره وأستعين به وأتوكل عليه وأعوذ به من شر نفسي وشر كل ذي شر، وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداَ عبده ورسوله المبعوث إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آل بيته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)) أيها الناس " إنه وقد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر وللمسئ الوز. ونحن والحمد الله على طريق قصد فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فان الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا" [3].

لقد كانت تلك الخطبة التي القها الإمام إدريس الثاني مستوحاة من التعاليم الإسلامية ومن معاني القران الكريم وفصاحة اللغة العربية والتي ترجع إلي التنشئة العربية الإسلامية التي حرص المولى راشد ورفيقة خالد الأوربي علي صقلها وتعليمها للإمام إدريس الثاني،والي جانب تلك الخطبة تورد المصادر التاريخية خطبة أخري عند الانتهاء من بناء مدينة فاس خطب فيهم قائلا " اللهم انك تعلم إني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخره ، ولا سمعة ولا مكابرة ، وإنما أردت أن تُعبد فيها ويتلا بها كتابك وتقام حدودك وشرائعُ دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا ،

---

(1) الحسن ،السايح: الحضارة المغربية البداية والاستمرار ص 7/2
(2) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 16
(3) المصدر نفسه : ص16

اللهم وفق سكانها وقطانَها للخير واعنهم عليه ،واكفهم مؤونة أعدائهم وأدرر عليهم الأرزاق واغمد عنهم سيف الفتنه والنفاق ، انك على كل شي قدير [1].

لقد كانت تلك الخطب التي خطبها الإمام إدريس الثاني باللغة العربية ولكن في بيئة اشتهرت بلغتها البربرية والتي كانت سائدة في مناطق البربر ، رغم كون هذه اللغة فقيرة لا تكاد تعدو حياة البربر اليومية الضيقة إلي شي وراءها من الثقافة والفكر[2]،وقد انتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً بين القبائل البربرية خصوصاً بعد بناء إدريس الثاني لمدينة فاس والتي أصبحت قلعة العروبة والإسلام في منطقة المغرب الأقصى ، فصارت اللغة العربية هي لسان معظم المناطق المحيطة بمدينة فاس .

2 – الفقـــه

لقد لعب المهاجرين العرب الذين استوطنوا مدينة فاس دور كبير في نشر اللغة العربية والتعاليم الإسلامية ولا سيما إن أكثرهم من العلماء والفقهاء والصلحاء والشعراء ، فأصبحت فاس بهم مركزاً لنشر اللغة العربية والحضارة الإسلامية في منطقة المغرب الأقصى[3] ،ويدلل الإدريسي على انتشار اللغة العربية بين القبائل البربرية التي استوطنت حول فاس وهم قبائل فندلاوه وبهلول وزواوة وبنو يوسف وغياته وسلالحون لكنهم يتكلمون باللغة العربية[1]، وإلى جانب ذلك عرف الأدارسة المجالس العلمية وانتشار الفقهاء بينهم وقد ذكرت المصادر التاريخية أن الإمام إدريس الثاني حال انشائه لحاضرته فاس عزم أن تكون دار علم وفقه ودين تقام بها حدود الله[2]، فأنشأت بها العديد من المساجد التي كانت منابر للعلم والمعرفة وحفلت العديد من مشائخ العلم والفقهاء فكان من أشهرهم الفقيه دراس بن إسماعيل الذي ينسب إليه إدخال علم الإمام مالك إلى بلاد المغرب[3]، فقد كان من الحفاظ المعدودين وكان له مسجد يعرف باسمه في مصموده بعدوة الأندلسيين يدرس فيه الفقه ويعلم الطلاب الدروس الدينية بعد صلاة الصبح وقد اختص المسجد بمؤذن يقوم بمهام الآذان وإغلاق المسجد بعد صلاة العشاء ، وقد كان الفقيه دراس يتصف بالورع والتقوى والكرم وكان الناس يتبركون به[*] .وقد كانت له رحلة إلى ا لمشرق حج فيها وحضر مجالس الفقه في المشرق ودخل إلى الأندلس في طلب العلم والجهاد وقد توفي بفاس سنة (357 هـ / 967 م)[4].

---

(1) الجزنائي : جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص 26
(2) شكري ،فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول هجري ص 131
(3) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 45
(1) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق 246/2
(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 59
(3) الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس 197/2
(*) يذكر عنه انه كان يعمل في طحن الحبوب فكان أهل فاس يرسلون إليه حبوبهم لطحنها لهم = بن عيشون : الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من اهل فاس ص 51
(4) الضبي،.أبي جعفر بن يحيى : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، وضع فهارسة.صلاح الدين الهوارى. المكتبة العصرية (بيروت.2000 م) ص268 = كذلك بن عيشون : الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من أهل فاس ص 335

وممن عرف عنه الفقه وتدريسه في مساجد فاس الفقيه عبد العلاء أبي العباس الملقب بإسحاق المصمودي الذي كان يدرس الفقه المالكي لطلابه في مساجد فاس توفي أواخر القرن الثالث للهجري ودفن بجوار مسجده بناحية باب الفتوح[5]، ومن الذين عاصروا هولاء الفقهاء كان الفقيه أبو جيده بن احمد الفاسي اليزغيتي[*] ،والذي كان له إلمام بالفقه وقد اشتهر بالتقوى والصلاح والاجتهاد في الدين وقد توفي سنة (365 هـ / 975 م) ، ومن جملة ما ذكرتهم المصادر الفقيه عبد الله بن على الفارسي الذي كان أول من تولي الخطابة في جامع القرويين وكان فقيها عالما صالحاً.[1]

3 – الشعـــر

عرف الإمام إدريس الثاني إلى جانب الخطابة أشعار مختلفة كثير ما عبرت عن أحاسيسه في الشكوى والمدح والوصف ، وقد ألهمت الظروف التي كان يعاصرها الإمام إدريس الثاني على شعره الطابع السياسي في بعض أشعاره ويقول في أبيات مخاطبا بهلول بن عبد الواحد الذي مال إلى إبراهيم بن الأغلب[2].

أبهلولُ قد شممْتَ[*] ،نفسَك خطّةً تبدلتَ مِنْها ضله بِرشَـــادِ
أَضلّكَ إبراهيمُ من بُعْـــدِ داره فأَصْبحتَ منْقْاداً بغيرِ قِيَـاد
كأنكَ لم تسمعْ بمكرِ ابنِ أغلبٍ وما وقد رمى بالكيدِ كلّ بـلادِ
ومن دونِ ما منّتكْ نفسُك خالياً ومناك إبراهيم خرطُ قَتَـــادِ

وللشعر صنف أخر وهو شعر الفخر الذي يعبر فيه عن شرف نسبه وشجاعة أجداده وصبرهم في ملاقاة العدو[3] ، فيقول :

أليس أبونا هاشم شـــد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضـربِ
فلسنا نمل الحرب حتى تملّنـا ولا نشتكىّ مما يؤول إلى النصب

والى جانب شعر السياسة والحماسة والفخر، ظهر للإمام إدريس الثاني شعر الأحاسيس والشكوى والذي يعبر عن القلق والشوق إلى أهل بيته فيقول[4] .

لو مال صبري بصبر الناس كلهُم لضَلّ رَوْعتى أو ضَلّ في جَزعَى
وما أَرِيعُ إلى يأسٍ ليسُلِينَـــي إلا تحول أبى يأس إلى طمـــع

(5) بن عيشون : الروض العطر الأنفاس بإخبار الصالحين من أهل فاس ص 336
(*) اليزغيتي نسبة لبني يازغه وهي قبيلة بربرية تسكن جنوب شرق فاس= الوزان 280/1
(1) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 59 ، كذلك الجزنائي ص 46
(2) المصدر نفسه ص 32
(*) شممت بمعني أطمعت نفسك بخطة لم تدركها إلا شماً = كنون ، عبد الله :النبوغ المغربي في الأدب العربي ، (طنجة ،1960م) 639/2
(3) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 123 ، كذلك محمد بن علي : الذرر السنية في إخبار السلالة الادريسية ص 82
(4) ابن الأبار: الحلة السيراء 1/ 55 56

وكيف يَصْبر مطِوي هضائمـهُ على وساوسِ همٍ غيرِ منقطــع
إذا الهمومُ توافتْ بعد هجمتـها كرّتْ عليه بكأسٍ مُرةِ الجـزَع
بأن الأحبةُ واستبدلْتُ بعدهُـم هّما مقيماً وشملاً غيَر مجتمــع
كأنني حيَن يُجرى الهّم ذكرتهمُ على ضميرىَ مخبول من الفـزع
تأوي همومي إذا حّركتُ ذكرهمُ إلى جوائح جسمٍ دائمِ الهلــع

لقد نظم الأدارسة الشعر وظهرت قصائدهم في وقت مبكر واتصلت الحركة الشعرية لدى الأئمة والأمراء الأدارسة التأثر بالوجود الأموي في الأندلس[1] ، فيظهر نضم الشعر في خلفاء الإمام إدريس الثاني فقد نضم الأمير القاسم بن إدريس قصيده[2].

سأتركُ للراغبِ الغرْبَ نهباً وان كنتُ في الغَرب قّيلا وندْباً
وأسْمو إلى الشرق في هِمَّةٍ يِعِزُ بها رُتباً منْ أحبّــا
وأتركُ عيسى على رأيـةِ يُعالجُ في الغَرْب همّاً وكرْبـاً
وْلو كانَ قلْبي عن قلْبــهِ لكَنتُ لهُ في القرابِة قلبــا
وأن أحدثَ الدهرُ من رَيْبهِ شقاقاً عليْنا وأحْدثَ حَـرْبا
فإني أرّى البُعدَ ستْراً لَنـا يُجدُّدُ شوقاً لدَينا وحُبّــا
ولم نَجْنِ قّطُعاً لأرحامِنـا نُلاِقي بهِ آخِرَ الدهْر عَتْبـا
وتَبقَي العداوةُ في عَقْبنـا وأكْرِم به حينَ نعقبُ عَقْبـا
وأَوفَقُ من ذلكَ جوْبُ الفَلاةِ وقَطْعُ المَخَارِم(*) نُقْباً فَنُقْبــا

وبلغ الشعراء في دولة الأدارسة مبلغاً عظيماً في الوصف واحسنو فيه فجمعوا رقة ومحاسن النساء في مدينة البصرة التي وصفت نسائها بالجمال فقال أحد الشعراء وهو أحمد بن فتح المعروف بأبن الجزار التاهرتي[1] .

قبح الآلة اللهو إلا فينـــه بصرية في حمرة وبيــاض
الخمر في لحضاتها والورد في وجناتها والكشح غير مفـاض
في شكل مرجئ ونسك مهاجر وعَفافِ سنى وسَمْتِ اياضــي
تاهرت أنت خليلة وبريَّــة عوضت منك ببصرة فاغتاضي
لاعذر للحمراء في كلفي بهـا أو تستفيض بأبحر وحيــاض
ما عذرها والبحر عيسى أذبها ملك الملوك ورائض الـرواض

---

(1)عبد الله ، كنون : النبوغ المغربي في الأدب العربي 3 / 639
(2) ابن الأبار : الحلة السيراء ص 132 – 133
(*) المخارم : هي رؤوس الجبال والنقب في الجبل
(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 110 ، وينسبها ابن أبي زرع في مدح أبو العيش بن إبراهيم بن القاسم= ابن أبي زرع : الأنيس المطرب في روض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ص 63

كما أن مجالس ألائمه الأدارسة حفلت بالشعراء الذين مدحوا الأمراء الأدارسة ولابد أنهم حصلوا منهم على الأعطيات والهيبات والمكافآت على تلك القصائد ومنهم الشاعر ابوعبدالرحمن بكر بن حماد الذي مدح أحمد بن القاسم في قصيدة قال فيها[2].

إنَّ السَّماحةَ والمرُوُءَةَ والنَّـدَاء جُمِعُوْ لأحمد من بني القاسِـمِ
وإذا تَفاخَرَتِ القبائلُ وانتَمَتْ فافْخُرْ بِفَضْلِ محمَّدٍ وبفَاطِـمِ
وبجعْفَر الطَّيارِ في دُرَجِ العُلّى وعَلِيّ العَضْبِ الحُسامِ الصَّـارِمِ
إني لَمُشْتاقٌ إِلَيْكَ وإنَّمـــا يَسْمُو العُقابُ إذا سَمَا بقَـوَادِمِ
فأبعثْ إليَّ بمَرْكبٍ أسمُو بـه علِّـِى إن أَكُونُ عَلَيْكَ أَوْلَ قـادِمِ

لقد كانت الحركة الفكرية ملازمة لحركة التعريب ونشر تعاليم الإسلام خاصة بعد أن أصبحت فاس حاضرة المغرب الأقصى، فقصدتها موجات من الهجرات من كل مكان فبدأت تظهر كمدينة وتأثرت بمدارس القيروان وقرطبة وانتشرت بها المؤثرات الإسلامية المشرقية ولاشك إن الأئمة و الأمراء الأدارسة كان لهم الفضل في إذكاء حركة التعريب ونشر اللغة العربية وإحلالها محل اللغة البربرية، فانتشرت اللغة العربية حيثما حل الأدارسة ، وازدهرت بعد انشأ المدن الجديدة والتي جعلها الأمراء الأدارسة مراكز إشعاع وتعريب في بلاد المغرب الأقصى [1].

(2) ابن عذارى : البيان المغرب 326/2
(2) حسن،احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص 70 , كذلك عبد العزيز بنعبد اللة: معطيات الحضارة المغربية ص59

الخاتمـــــة

من خلال هذا البحث أوضحت كيف كانت الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبيل قيام دولة الأدارسة ، وأهم الأحداث التي شكلت الأرضية والقاعدة العامة لنشوء دول قامت في بلاد المغرب واستقلت عن الخلافة العباسية في المشرق ، وكان من بين تلك الدول دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، وأوضحت الدراسة النقاط التالية :-

أولا / بينت الدراسة الجهود التي قام بها المسلمون في سبيل فتح بلاد المغرب والتي استمرت فترة طويلة جداً مقارنة بالمناطق التي فتحت بالمشرق ، وهو ما يعكس صعوبة تضاريس البلاد وبعدها عن مركز الخلافة ، ويرجع كذلك إلى تشبث قبائل البربر بمعتقداتهم وميلهم إلى العنف في بعض الأحيان، وهو ما يعكس طبيعتهم التي تميل إلى صفات الشجاعة ومجابهة الأخطار، بالإضافة إلى ذلك صادفت حركة الفتح في بلاد المغرب ظروف عامة كانت تعانى منها دار الخلافة في المشرق،كتعاقب الخلافات وظهور الثورات التي انشغلت بها جيوش الخلافة عن استكمال الفتوح في بلاد المغرب عامة .

ثانياً / استعرضت الدراسة الحالة العامة لبلاد المغرب في عصر الولاة وتوضيح الأسباب التي أدت إلى ظهور حركات التمرد التي قادها البربر إلى جانب ظهور مذهب الخوارج الذي تسرب إلى البربر عن طريق دعاة المشرق، الذين وجدوا في مساوي العمال وظلمهم في بعض الأحيان للقبائل البربرية ،مع ذكر أهم الثورات التي اندلعت في إقليم المغرب الأقصى، والتي شكلت الأرضية الجغرافية التي مهدت السبيل إلى الانفصال عن كيان الدولة وقيام كيانات جديدة كفلت لسكانها الاستقلال وتسيير أمورهم حسب ميولهم وظروفهم .

ثالثاً / استعرضت الدراسة الصراع على أحقية الخلافة في المشرق الذي كان يظهر بين الفترة والاخرى فكانت (معركة فخ) في الحجاز إذاناً لمولد دولة فى أقصى المغرب، فقد تصادف أن نجا من هذه المعركة أحد أبناء آل البيت، والذي اتجه إلى بلاد المغرب الأقصى إلى أن وصل إلى قبيلة أوربة في وليلى ، وقد كانت الصفات التي يتمتع بها كفيلة بإقناع زعيم قبيلة أوربة في مدينة وليلي الذي بايعه واظهر دعوته بين القبائل البربرية الأخرى فوقفت إلى جانبه وساندت حقه لنيل الخلافة، وقد استطاع بفضل مؤازرتهم تكوين دولة في بلاد أخذت على عاتقها نشر الإسلام ومحاربة العقائد الفاسدة والمذاهب الخارجة عن القرآن الكريم والتعليم الإسلامية .

كذالك استعّرضتُ جهود خلفاء الإمام إدريس الأول وبينتُ نقطة التحول الرئيسة وهي إصباغ الدولة بالصبغة العربية من خلال استقبال الوفود العربية وتشجيع الهجرات من الأندلس والمشرق، والتي حملت المؤثرات الحضارية الإسلامية، وقد ظهر ذلك من خلال النظم الحضارية التي اعتمدها الأئمة والأمراء الأدارسة في دولتهم، كذلك ذكرت حركة الصراع والمواجهة بين الخلافة الأموية في الأندلس والفاطميين في إفريقيه فكانت مناطق الأدارسة مسرح لذلك الصراع وبينتُ أخر المحاولات التي قام بها الأمير الحسن بن كنون فى مواجهة الفاطميين تارة والأمويين تارة أخرى في سبيل الاحتفاظ بمناطق الأدارسة إلى أن تم سيطرة الأمويين على آخر معقل للأدارسة لتدخل المنطقة فى حقبة جديدة مهدت السبيل لقيام كيانات إسلامية أخرى .

رابعاً / أوضحت الدراسة الدور الحضاري الذى لعبته الدولة الإدريسية في المغرب ،والذي كان من خلال تقليد النظم الحضارية المشرقية وأوضحت حرص الأمراء الأدارسة على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي من خلال الموارد المالية للدولة وذكرت حركة العمران وتمصير المدن التي أسسها الأمراء الأدارسة،كذلك أوضحت الحالة الفكرية التي كانت في عهد الأمراء الأدارسة والذي يعكس تغلغل اللغة العربية بين القبائل البربرية وانتشار المجالس الفقهية فكثر عدد الفقهاء بالمساجد التي كانت تعقد فيها حلقات الذكر وتدريس الطلاب أصول الفقه المالكي مما وضع الأرضية لقيام دراسات أخرجها علماء مساجد فاس والتي أصبحت منارة العلم والإسلام في بلاد المغرب الأقصى،وكذلك ظهر الشعر العربي على ألسنة الأمراء فكان امتزاج الفخر والعاطفة أساس لظهور الحركة الأدبية العربية بعد إن اكتمل تعريب مناطق واسعة من بلاد المغرب الإسلامي، فلا غرور أن قلت إن الأدارسة هم الذين وضعوا الأساس في حركة التعريب ونقل المنطقة إلى أفاق اشمل واعم ظهرت بعد عصرهم فكانت الحركة الفكرية بشتى أصنافها هي الأرضية والأساس لنهضة فكرية ظهرت بعدهم .

وأخيرا / فان هذه الدراسة رغم إنها حاولت أن تغطى معظم الجوانب التاريخية والحضارية لدولة الأدارسة ، إلا إنها مازالت تحتاج للمزيد من البحث والتدقيق والاهتمام وإبراز هذه الدولة ككيان مستقل استمر زهاء قرنين من الزمان .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الطالب

الملاحق

ملحق رقم (1)

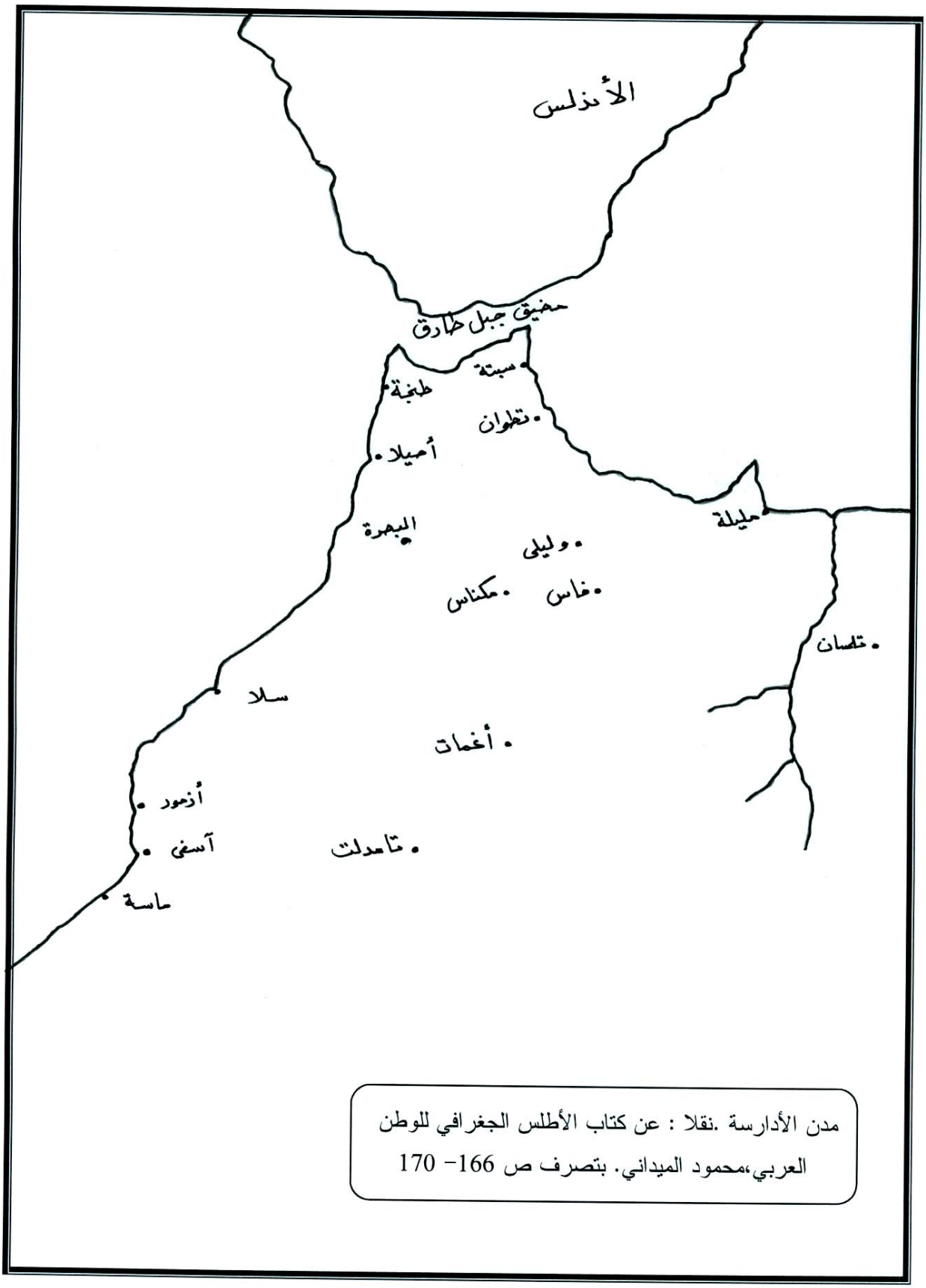

مدن الأدارسة .نقلا : عن كتاب الأطلس الجغرافي للوطن العربي،محمود الميداني. بتصرف ص 166- 170

ملحق رقم (2)

حدود دولة الأدارسة .نقلا :عن أطلس التاريخ العربي الإسلامي :شوقي أبو خليل . ص 50 – 51

ملحق رقم (3)

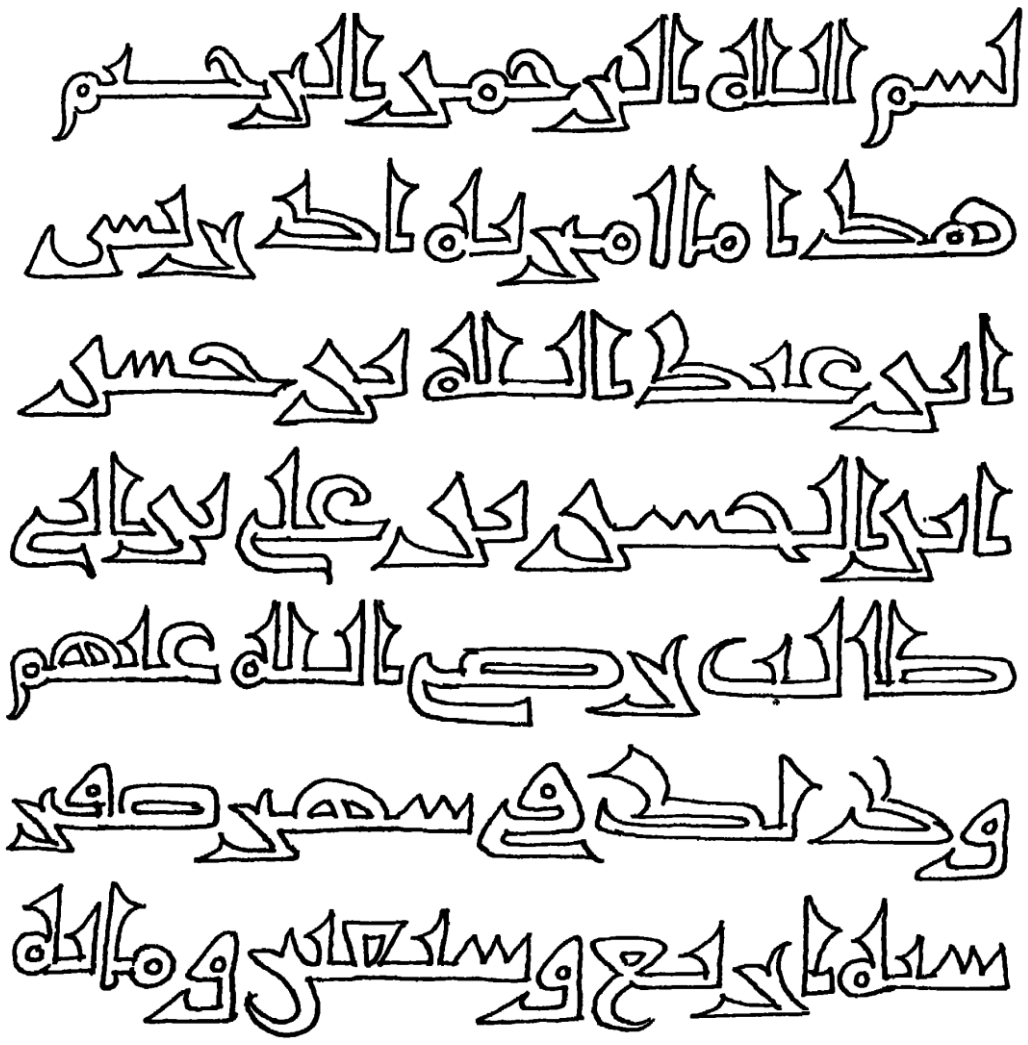

وثيقة تأسيس الأدارسة لمسجد تلمسان

نقلا .عن كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب:عبد الهادي التازي . ص 15

ملحق رقم (4)

نسب الإمام إدريس

على بن أبي طالب (ت 40 هـ / 661 م)

الحسن (ت 49 هـ / 669 م)

الحسن (ت 97 هـ /716 م)

عبد الله (ت 144 هـ / 761 م)

إدريس (ت 175 هـ / 791 م)

نقلا عن كتاب الجوهرة في نسب الأمام علي وأله البري محمد بن أبو بكر ص 35

ملحق رقم (5)

أبناء الإمام إدريس الثاني

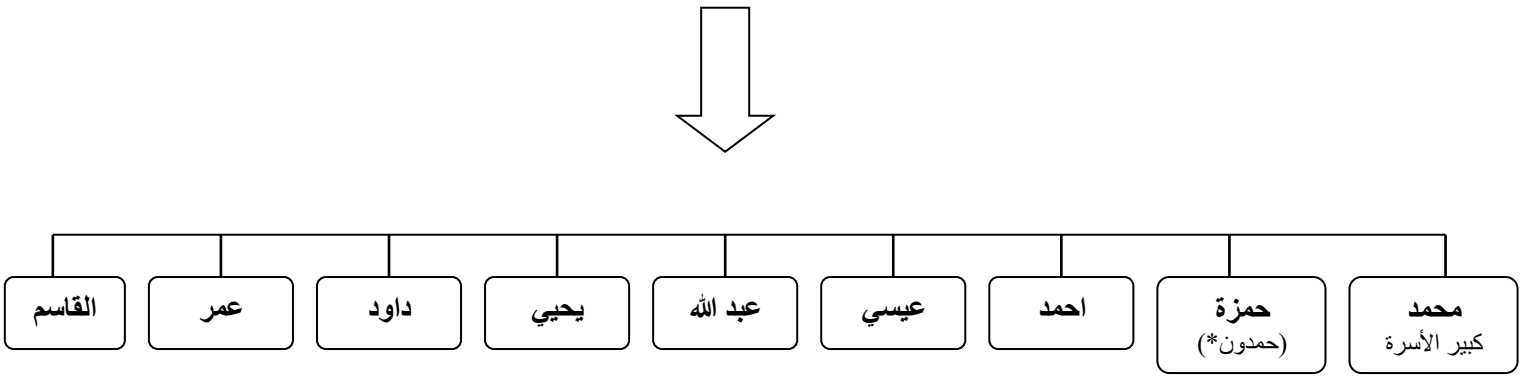

نقلا عن: معجم والأنساب والأسرات الحاكمة: زامباور. ص 103

* يذكر إن اسمه حمدون

ملحق رقم (6)

جدول بأسماء أمراء الأدارسة

1 – إدريس الأول بن عبد الله (172 – 177 هـ / 788 – 793 م)
2 – إدريس الثاني بن إدريس الأول (177 – 213 هـ / 793 – 828 م)
3 – محمد بن إدريس الثاني (213 – 221 هـ / 828 – 836 م)
4 – علي (الأول) بن محمد (221 – 234 هـ / 836 – 849 م)
5 – يحيى (الأول) بن محمد (234 هـ / 849 م)
6 – يحيى (الثاني) بن يحيى (الأول)
7 – على (الثاني) بن عمر بن إدريس (الثاني)
8 – يحيى (الثالث) بن القاسم بن إدريس (الثاني)
9 – يحيى (الرابع) بن إدريس بن عمر (292 هـ /310 هـ / 904 – 922)
10 – الحسن الحجام بن محمد (310 – 313 هـ / 922 – 925 م)
11 – كنون بن محمد بن القاسم
12 – ابوالعيش أحمد (337 – 343 هـ / 948 – 954)
13 – الحسن بن كنون (343 – 364 هـ / 954 – 974)

نقلا عن كتاب دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي : طه عبد الواحد ص 101

ملحق رقم (7)

توزيع الولايات على أبناء الإمام إدريس الثاني

البكري	ابن الخطيب	ابن أبي زرع	ابن خلدون	السلاوي
القاسم : البصرة – وصنجة وماوالاهما	سبتة وطنجة وقلعة النسر وما والآ ذلك من القبائل والبلاد	طنجة وسبتة وقلعة النسر وتطوان ومصمودة وما والا ذلك	طنجة والبصرة وتيطاوين وما والا ذلك	اتفق مع ابن أبي زرع
عمر : صنهاجة وغمارة	صنهاجة وغمارة	تمجنساس وبلاد عمارة وما والاهما	تيكسان وتدغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة	اتفق مع ابن خلدون
داود : هوارة وتاسلمت	بلاد هوارة وما الا هما	بلادهوارة وتسول ومكناسة وغياثة	هوارة وتسول وتازا وما بينهما من القبائل	اتفق مع ابن خلدون
يحيى : داي وما والاها	مدينة البصرة ومدينة أصيلا	مدينة البصرة ومدينة أصيلا ومدينة العرائس إلى بلاد درعة	مكناسة وغياثة أصيلة والعرائس وبلاد ورغة	أصيلة والعرائس والبصر وورغة
حمزة : الأودية بقرب وليلي	تلمسان	تلمسان وأعمالها	وليلي وأعمالها	مدينة وليلي وأعمالها
عيسي : وازمور وسلمه	شاله وازمور وتامسنا وبرغوطة	مدينة شاله وبلاد تامسنا	شالة وسلي وازمور وتامسنا وما إلى ذلك من القبائل	شاله وازموره وتامسنا وما انظم إلى ذلك من قبائل
عبد الله : لمطه وما والاها	السوس الأقصى وبلاد نفيس	اغمات وبلاد نفيس والسوس الأقصى	اغمات وبلاد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطه والسوس الأقصى	اتفق مع ابن خلدون
أحمد : لم يذكر له ولاية	لم يذكر له ولاية	مكناسه وبلاد فازاز وبلاد تادله	لم يذكر ولاية	
إدريس: لم يذكر له ولاية	شاله	لم يذكر له ولاية	لم يذكر له ولاية	لم يذكر له ولاية

نقلا .عن كتاب دولة الأدارسة: إسماعيل العربي ص 124 – 125

مصادر ومراجع البحث

أولا:- المصـــــــــــــادر

القران الكريـــم ، مصـحف الجماهيريـة ، بروايـة قـالون عـن نـافع ، جمعيـة الـدعوة الإسـلامية (طرابلس ، د ت)

ابن أبي دينـــار، محمد بن القاسم الرعيني القيرواني (ت 1110 هـ / 1698 م)
ــ المؤنس في إخبار افريقية وتونس ، تح محمد شمام (تونس ، 1967 م)

ابن أبي زرع ، أبو الحسن على بن عبد الله الفاسي (ت 730 هـ / 1320 م)
ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس
ــ راجعه عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية (الرباط ، 1999 م)

ابن الأبـــــــار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي (ت 658 هت /1209م)
ــ الحلة السيراء ، تح حسين مؤنس ، دار الكتاب (القاهرة ، 1967 م)

ابن الأثيـــــر ، عز الدين أبو الحسن على (ت 630 هـ / 1232 م)
-الكامل في التاريخ ، تح محمد يوسف ،دار الكتب العلمية(بيروت ، 1998م)

ابن الأحمـــــر، أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت 807 هت / 1407 م)
ــ بيوتات فاس الكبرى ، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط ، 1972م)

ابن الخطيـب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776 هـ / 1374م)
ــ تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، الجزء الثالث من كتاب إعمال الإعلام فيمن بيـع قبـل الاحـتلام ، تـح احمـد مختـار العبـادي ومحمـد إبـراهيم ، دار الكتـاب ، (الدار البيضاء ، 1964 م)

ابن الطقطقـي ، محمد بن علي (ت 708 هـ / 1301 م)
ــ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر(بيروت ،1966م)

ابن العمـــاد ، ابوالفلاح عبد الحي ، (ت 1089 هـ / 1678 م)
ـ شدر الذهب في إخبار من ذهب ، تح ، عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط دار ابن كثير ، (بيروت، 1986 م)

ابن الفقيـــه ، ابوبكر احمد بن محمد (ت نهاية القرن 3 هـ / 10 م)
ــ مختصر كتاب البلدان ، مطابع ابريل ، (ليدن 1303 م)

ابن القاضـــي ، أبو العباس احمد بن محمد المكناسي (ت 25 10 هـ /1616م)
- جـذوة الاقتبـاس فـي ذكـر مـن حـل مـن الإعـلام مدينـة فـاس، دار المنصـور (الرباط ، 1973م)

ابن القطـــــان ، أبو محمد حسن بن علي (ت 628 /1231 م)
ــ نظم الجمان لترتيب ماسلف من إخبار الزمن ، تح محمد على مكي ، دار الغرب الإسلامي (تطوان ، 1990 م)

ابن القوطيـــة ، ابوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (367 هـ / 977 م)
ــ تاريخ افتتاح الأندلس ، تح عبد الله أنيس ، مؤسسة المعارف (بيروت،1994م)

ابن النديـــــم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق ، (438 هـ / 1046 م)
ــ الفهرست تح رضاء حداد ، (بيروت ، 1978 م)

ابن حزم ، على بن احمد (ت / 456 هـ / 1064 م)
جمهرة انساب العرب ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1983م)

ابن حوقـــــل ، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت 367 هـ / 977 م)
ــ صورة الأرض ، مكتبة الحياة (بيروت ، 1979م)

ابن حيـــــان ، أبو مروان حيان بن خلف (469 هـ / 1079 م)
المقتبس في إخبار بلد الأندلس ، تح عبد الرحمن الحجي (بيروت ، 1965)

ابن خرداذبـه، عبد الله بن احمد عبد الله (ت 280 هـ / 893 م)
ــ المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د ت)

ابن خلـــدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، (ت 808 هـ / 1405 م)
ــ العبر وديوان المبتدى والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السـلطان الأكبـر ، دار الكتـب العلميـة ، منشـورات محمـد علـى بيضـــون (بيروت ، 1992 م)
ــ المقدمة ، منشورات مكتبة الهلال (بيروت ،1996 م)

ابن خلكـــــان ، شمس الدين أبو العباس (ت 681 هـ / 1282 م)
ــ وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تح إحسان عباس دار صادر(بيروت،د ت)

ابن سعيـــــد ، أبو الحسن على بن موسي المغربي (ت 685 هـ / 1286 م)
- كتاب الجغرافيا ، تح إسماعيل العربي المكتب التجاري (بيروت 1970 م)

ابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257 هـ / 871 م)
ــ فتـوح مصـر والمغـرب ، تـح علـى محمـد عمـــــر ، مكتبـة الثقافـة الدينيـة (القاهرة ، 2004 م)

ابن عـــذارى ، أبو العباس احمد بن محمد (كان حيا عام 712 هـ /1313 م)
ــ البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب ، تح كولان وبروفنسال ، دار الثقافة (بيروت ، 1948 م)

ابن منظـــور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد (ت 711 هـ / 1311 م)
ــ لسان العرب ، تح عبد الله العلايلي ، دار لسان العرب (بيروت، 1988 م)

أبو الفـــــداء ، عماد الدين إسماعيل (ت 774 هـ / 1372 م)
ــ المختصر في إخبار البشر (القاهرة ، 1315)
ـالبداية والنهاية ،تح أحمد أبو ملحم وآخرون ،دار الكتب العلمية،(بيروت،1986م)

أبو العـــرب ، محمد بن احمد تميم القيروانى (333هـ /944م)
ــ طبقات علماء افريقية وتونس ، تح على الشابي ونعيم حسن

الإدريســـي ، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت 548 هـ /1070 م)

ـ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتب (بيروت ، 1989 م)
الأشعـــري ، أبو الحسن إسماعيل (ت324 /936م)
ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تح محمد محي الدين ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 1950 م)
الاصطخـــري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت 350 هـ / 961 م)
ـ المسالك والممالك ، تح محمد عبد العال (القاهرة ، 1961 م)
الأصفهانـــي ، أبو الفرج على بن حسين (356 هـ / 967م)
ـ مقاتل الطالبيين ، تح احمد صقر ، دار المعرفة (بيروت ، د ت)
الباجـــــي ، أبو عبد الله محمد (ت 1298 / 1880م)
ـ الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، مطبعة بيكار (تونس ، 1323)
البـــــــري ، محمد بن أبي بكر التلمساني (كان حياً سنة 645 هـ / 1246 م)
-الجوهرة في نسب الإمام على وآله،تح محمد التونجي،دارالجبل(بيروت ،1993م)
البغـــدادي ، أبو بكر احمد (ت 463 هـ / 1058 م)
- الفرق بين الفرق، تح محمد محي الدين ، المكتبة العصرية (بيروت ، 1995 م)
البكـــــري ، أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز ، (ت 487 هـ / 1084 م)
ـ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، مكتبة المثني (بغداد ، د ت)
البـــــلاذري ، احمد بن يحي (ت 279 هـ/ 892 م)
ـ فتوح البلدان ، تح صلاح الدين المنجد (القاهرة ، 1956 م)
الجزنائـــــي ، أبو الحسن علي(كان حيا عام 766 هـ / 1364 م)
ـ جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس ، تح عبد الوهاب بنمنصور) المطبعة الملكية (الرباط ، 2008 م)
الـــــوزان ، الحسن بن محمد الفاسي المعروف باسم ليو الإفريقي (ت 1550/957م)
ـ وصف افريقيا ، ترجمة محمد صبي ومحمد الأخضر ، دار الغـــــرب الإسلامي (بيروت 1983 م)
الحمـــــوي ، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله.(م سنة 626 هـ - 1230 م)
ـ معجم البلدان ، دار صادق (بيروت ، 1955)
الحميـــري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (أواخر القرن التاسع للهجري،1494م)
ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح إحسان عباس دار القلم (بيروت ، 1975 م)
الخـــشني ، محمد بن محمد الحارث (ت 361هـ / 972م)
ـ طبقات علماء افريقية ، تقديم محمد زنهم ، مكتبة مذبولي (القاهرة، 1993م)
الدبـــــاغ ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري (ت 696 هـ / 1297 م)
ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1968 م)
الزهـــري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري / أواسط القرن الثاني عشر الميلادي)
ـ كتاب الجعرافيا ، تح محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ،(القاهرة ، د ت)
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم
الملل والنحل ، تح أمير على مهنا وعلى حسن ، دار المعرفة(القاهرة، 1993م)
الضبـــي ، ـ أبو جعفر احمد بن يحي (ت 599 هـ / 1203 م)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة العصرية (بيروت .2000 ف) .

الطبـــــري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922م)
ــ تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د ت)
القلقشنـدى ، أبو العباس احمد بن على (ت 821 هـ / 1418 م)
ــ صبح الإعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية (القاهرة ، 1982 م)
القيرواني ، أبـو إسـحاق إبـراهيم ابـن القاسـم (ت منتصـف القـرن الخـامس الهجـري / الحادي عشر الميلادي)
- تـــاريخ افريقيـــة والمغـــرب،تح المنجـــي الكعبي،نشـــر رفيـــق الســـــــــقا (تونس ، 1967 م)
الكتـــــــاني ، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس
ــ سلوة الأنفاس محادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس ،تح عبد الله الكامل الكتان وآخرون ، دار الثقافة للنشر (الدار البيضاء ، 2004 م)

الكنـــــدي ، أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (ت 350 هـ / 961 م)
- كتاب الولاة والقضاة ، تح رفن كست ، المكتب التجاري(بيروت ، 1908م)
المالكـــي ، أبـو بكـر عبـد الله بـن محمـد (ت نهايـة القـرن الرابـع الهجـري / العاشـر الميلادي)
ــ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من إخبارهم وفضلائهم وأوصافهم ، تح بشير البكوش ومحمد العروسي دار الغرب الإسلامي، (بيروت ، 1994 م)
الماوردي ، ،أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (450 هـ / 1058 م)
- الإحكام السلطانية والولايات الدينية ،دار الكتب العلمية ،(بيروت،1982م)
المراكشي ، عبد الواحد (647 هـ / 1280 م)
ــ المعجب في تلخيص إخبار المغرب ، وضع حواشيه عمران خليل ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1998 م)
المسعودي ، أبو الحسن على بن الحسين (ت 346 هـ / 957 م)
ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تح محمد محي الدين ، مطبعة المكتبة العصرية (بيروت 1988 م)
المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 387 هـ / 997م)
ـ أحسن التقاسيم بمعرفة الإقليم (ليدن ، 1909 م)
الناصـــري ، احمد بن خالد (ت 1315 هـ / 1895 م)
ــ الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، 1954 م)
النباهـــي ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت قبل سنة 793 هـ / 1383 م)
ــ المراقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا ،تح ليفي بروفنسال دار الأفاق الجديدة (بيروت ، 1983 م)
بن عيشـــون ، أبو عبد الله محمد (1109 هـ / 1697م)
ــ الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس تح زهرا النظام ، منشورات كلية الآداب (الرباط ، 1997 م)
مؤلف مجهول ، (كان حيا سنة 712 هـ / 1313 م)

ــ مفاخر البربر ، تح عبد القادر بوبايه ، دار اقرأ ، (الرباط ، 2005 م)
مؤلف مجهول ، (كاتب مراكشي مجهول من علماء القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي)
ــ الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح سعد زغلول (بغداد ، 1986م)
اليعقوبـــي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت 264 هـ / 895م)
ـ البلدان دار صادر ، (بيروت ، د ت)

ثانيا:- المراجـــــــــع

أبا الخليـــل ، محمد بن إبراهيم
- الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز (الرياض ، 1995 م)
ابن زيدان ، عبد الرحمن
- إتحـــاف إعـــلام النـــاس بجمـــال إخبـــار حاضـــرة مكنـــاس، المطبعـــة الوطنيـــة (الرباط ، 1933 م)
أبو الخليل ، شوقي
ـ أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر (دمشق ،2005 م)
أبو مصطفى ، كمال
- تـــاريخ المغـــرب الإســـلامي وحضـــارته ، مركـــز الإســـكندرية للكتـــاب (الإسكندرية ، 2002 م)
أحمـــــــد ، نهلة شهاب
ـ المغرب في عهد عقبة بن نافع ، دار المتنبي ، (إربد ، 2003 م)
اسماعيل محمود
الأدارسة (172 هـ - 375 هـ) حقائق جديدة ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1991 م)
إدريس ، محمد محمود
ــ حسان بن نعمان ، المطبعة التجارية (القاهرة ، 1989 م)
أفـــــــا ، عمر و محمد المغراوي
-الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق ، مطبعة النجاح(الدار البيضاء،2007 م)
أيـــــوب ، إبراهيـــم
-التاريخ العباسي السياسي والحضاري،دارالكتاب العالمي(بيروت،1989م)
الإدريسي ، محمد بن على السنوسي
ــ الدرر السنية في إخبار السلالة الإدريسية ، دار القلم (بيروت ، 1986م)
التـــــازي ، عبد الهادي
- الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، دار نشر المعرفة، (الرباط ،2001م)
-التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور،مطبعة فضالة(الدار البيضاء ،1987م)
- جامع القرويين ، دار نشر المعرفة ، (الرباط ، د ت)

التليسي ، بشير رمضان
- الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي ، دار الغرب (طرابلس ،2003م)
التنوخي ، محمد
ــ عقبة بن نافع فاتح المغرب ، مكتبة قورينا ، (بنغازي ، 1975 م)
الجوهري ، يسري
ــ المغرب العربي جغرافيا ، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية ، 2001م)
الحريري ، محمد عيسى
ــ الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، دار القلم ، (الكويت ، 1987 م)
السايح ، الحسن
ــ الحضارة المغربية ، البداية والاستمرار،منشورات عكاظ (الرباط، 2004م)

الخطيب ، محمد محمد
ــ الحياة السياسية في المغرب الإسلامي وآثارها في نشأة الدويلات خلال القرن الثاني الهجري ، مطبعة الحسين الإسلامية ، (القاهرة ، 1989 م)
- دويلة بني مدرار ، مطبعة الحسين ، (القاهرة ، 1989 م)
الراشد ، عبد الجليل
ــ العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والأندلس خلال القرنيين الثاني والثالث للهجرة ، منشورات مكتبة النهضة (الرياض ، 1969 م)
الريس ، محمد ضياء الدين
ــ النظريات السياسية في الإسلام ، دار التراث (القاهرة ، 1958م)
الزركلي ، خير الدين
- الإعلام ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1997م)
الشطشاط ، علي حسين
ــ تاريخ الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة ، دار قباء، (القاهرة ، 2001 م)
الشمسي ، الطاهر بن عبد السلام
ــ الحصن المتين للشرفاء أولاد مولاي عبد السلام مع أبناء عمهم العلميين ، شركة بابل ، (الرباط ، 1993 م)
الطالبي ، محمد
- الدولة الأغلبية ترجمة المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1985 م)
العبادي ، أحمد مختار
- تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية (الإسكندرية،د ت)
العبادي ، عبد الحميد
ـ المجمل في تاريخ الأندلس (القاهرة ،1964 م)
العدوي ، إبراهيم
- بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي ، مطبعة الانجلو مصرية (القاهرة 1984م)
العربي ، إسماعيل
- دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1983 م)

عثمـــــان ، إسماعيل
ـ تاريخ شالة الإسلامية ، دار الثقافة (بيروت ، 1975 م)
الفقـــــــي ، عصام الدين عبد الرؤوف
- تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، د ت)
الكبـــــي ، زهير
موسوعة خلفاء المسلمين : دار الفكر العربي (بيروت ، 1995 م)
الميدانـــي ، محمـــــود
الأطلس الجغرافي للوطن العربي ، دار دمشق (دمشق ، 2003 م)
بشيـــــر ، عبد الرحمن
ـاليهود في المغرب العربي،مركزعين للدراسات والبحوث،(القاهرة،2001م)

بنعبـدالله ، عبد العزيز
- معطيات الحضارة المغربية ، دار النشر المعرفة (الرباط ، 2000)
- جغرافية المغرب (الرباط ، 1963 م)
حركـــات ، إبراهيم
ـ السياسة والمجتمع في العصر الأموي ، دار الآفاق ، (الرباط ، 1990 م)
ـ المغرب عبر التاريخ ، دار السلمي ، (الدار البيضاء ، د ت)
حســـــن ، إبراهيم حسن
ـــ تـاريخ الإسـلام السياسـي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي ، مكتبـة النهضـة ، (القاهرة ، 2001 م)
حمـــــودة ، عبد الحميد حسن
ـ تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية ، الدار الثقافية للنشر ، (القاهرة ، 2007 م)
خطـــــاب ، محمد شيت
ـ قادة فتح المغرب العربي ، دار الفتح للنشر ، (بيروت ، د ت)
الثاني الهجري ، مطبعة الحسين الإسلامية ، (القاهرة ، 1989 م)
ـ دويلة بني مدار ، مطبعة الحسين ، (القاهرة ، 1989 م)
دبـــــوز ، محمد علي
تاريخ المغرب الكبير ، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة ، د ت)
دغفـــوس ، راضـــي
- ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق إفريقيه قبل ظهور الإسلام ، المركز دراسات وأبحاث الكتاب الأخضر(الرباط ،2004 م)
زيتـــــون ، محمد محمد
- المسلمون في المغرب والأندلس ، دار الوفاء (القاهرة ، 1984 م)
زيـــــدان ، جرجي
ـــ تـاريخ التمـدن الإسـلامي ،ترجمـه وعلـق عليـه أحسـين مـؤنس ،دار الهـلال (القاهرة ، د ت)
سابـــــق ، السيـــد
ـ فقه السنة ، دار الكتاب العربي (بيروت ، 1987 م)
ساعـــدي ، عثمان
ـ البربر الامازيغ عرب عاربه ، دار الملتقي للطباعة (بيروت ،1998 م)

سالـــــم ، السيد عبد العزيز
- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة(القاهرة،1983م)
ـ المغرب الكبير ، الدار القومية للطباعة (الإسكندرية ، 1966 م)
شاكـــــر ، مصطفي
ـ دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات (الكويت ، 1983 م)
طقـــــوس ، محمد سهل
ـ تاريخ الفاطميين في إفريقيا ومصر وبلاد الشام،دار النفاش(بيروت،2001م)
طـــــــه ، عبد الواحد ذنون
- الفـتح والاسـتقرار العربـي فـي شـمال إفريقيـا والأنـدلس،دار المـدار (بيروت،2004م).
ـ تاريخ المغرب العربي دار المدار الإسلامي (بيروت ، 2004 م)
ـ دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي (بيروت ،2004 م)
عبد الحميد ، سعد زغلول
ـ تـاريخ المغـرب العربـي مـن الفـتح حتـى قيـام دولـة الاغالبـة ، دار النهضـة (بيروت ، 2003م)
عبد الرازق ، محمود إسماعيل
-الخـوارج فـي بـلاد المغـرب حتـى منتصـف القـرن الرابـع الهجـري ،دار الثقافـة (الدار البيضاء ، 1985م)
عبد الوهاب ، حسن
- ورقـات عـن الحضـارة العربيـة بإفريقيـا التونسـية ،مكتـب المنـار (تونس ، 1982 م)
عثمـــــان ، محمد عبد الستار
ـ المدينة الإسلامية ، مطبعة عالم المعرفة (الكويت ، 1988 م)
عنـــــان ، عبد الله
دولـة الإسـلام فـي الأنـدلس (الخلافـة الأمويـة والدولـة العامريـة) مكتبـة الخـانجي (القاهرة ، 1997)
فيصـــل ، شكري
- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري ، دار العلم (بيروت ، 1978 م)
فيلالـــي ، عبد العزيز
ـ العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ،دار الفجر للنشر (القاهرة ، 1999 م)
كنـــون ، عبد الله
ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي ، دار الكتاب (بيروت ، 1979م)
لقبـــال ، موسي
ـ المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر (الجزائر ، 1981 م)
مؤنـــس ، أحسين
ـ فتح العرب للمغرب ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة د ت)
ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الأسرة (القاهرة ، 1992 م)
محمـــد ، محمد الأمين و الرحماني محمد
ـ المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب (الدار البيضاء ، د ت)
محمـــود ، حسن احمد
ـ قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة (القاهرة ، 1957 م)

مسعـــــد ، سامية مصطفي
ـ العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية ، مركز عين للدراسات (القاهرة ،2000 م)
موســـــي ، عز الدين محمد
ـــ النشـاط الاقتصـادي فـي المغـرب الإسـلامي خـلال القـرن السـادس الهجـري ، دار الشروق (بيروت ، 1983 م)
ـ دراسات في تاريخ المغرب ، دار الشرق (بيروت ،1983 م)
نصر الله ، سعدون
- دولة الأدارسة في المغرب،العصر الذهبي،دار النهضة العربية (بيروت،1987م)
ـــ تـاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح حتى سقوط غرناطة ، دار النهضة (بيروت ، 2003 م)

ثالثا : المراجـــــــــــع المترجمـــة

پروفنسال ، ليڤـــي
ـــ الإســلام فــي المغــرب والأنــدلس ،ترجمــة الســيد محمــود عبــد العزيــز ، (الإسكندرية، 1990م)
دوزي ، زينهرت
المســلمون فــي الأنــدلس ، ترجمــة حســن حبشــي ، الهيئــة المصــرية للكتــاب (القاهرة ، 1994 م)
ديموتيــن ، موريس
ـــ النظم الإسلامية في المغرب ، ترجمة فيصل السامرا وصالح الشماع مطبعة الزهراء (بغداد ،1952م)
زامباور ،
ـــ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون ، دار الرائد العربي (بيروت ، 1980 م)
لومبـــــار ، موريس
ـــ الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري ، ترجمة إسماعيل العربي ، دار الأفاق الجديد (المغرب ، 1990م)
لوتورنو ، روجية
فاس في عصر بني مرين،ترجمة نقولا زيادة ، مكتبة لبنان (بيروت ،1967م)
مارسيـــه ، جـــورج
ـ بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطي ، ترجمة محمود عبد الصمد ، منشاة المعارف (الإسكندرية ، 1999 م)

رابعا : الـــدوريـــات

القـــادري ، إبراهيم
ـ أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة ، مجلة المناهل العدد 32 (الرباط ، 1985م)
الطيبـــي ، أمين
- الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي في القرون

الوسطي ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، السنة الثانية (طرابلس 1980 م)

ســـوادي ، محمد

ـ الصـلات التجاريـة بـين البصـرة والمغـرب الإسـلامي خـلال القـرنيين الأول والثـاني الهجري ، مجلة المؤرخ العربي (بغداد ، 1990م)

الطرودى محمد

القيروان مدينـة التراث الحضـاري ،مجلـة الوحـدة ،السنة الخامسـة ،العدد 60 (الربـاط ،1989 م)

القابسي نجاح

النزعـات المذهبيـة والسياسـية فـي المغـرب فـي صـدر الإسـلام ، مجلـة كليـة التربيـة ،جامعة الفاتح ،العدد السابع (طرابلس ،1977 م)